28
2023
الإنسان والتطور
سلسلة الإصدارات المكتبية العلمية
العدد السابع

الأســـاس فـــي الطـب النفســي: الإفتراضـات الاساسيـــة

الفصـــل السابـــــع

2023

إصـــدارات مؤسســـة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

يحيـــى الرخـــاوي

الفهـــــــرس

العدد 3535– مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (1)	5
العدد 3536– مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (2)	11
العدد 3542– مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (3) منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان "عن الطاقة، والحافة المفترقية	17
العدد: 3543– مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (4) من كتاب "عندما يتعرى الإنسان": منذ نصف قرن (3) مُعجم الألفاظ الجاهز وخوف الأهل من القادِم المعدِّد	21
العدد: 3544 – مقتطفات:إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" عقار اسمه "إنسانيّتكو(Insayettco) !!" (من الحكاية الثانية: كرسى على عجل)	26
العدد: 3549 – مقتطفات:إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" من حكاية "فى القفص"	34

العدد: 3550 – مقتطفات:إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" 40
من حكاية "فى القفص(2)"

العدد: 3551 – مقتطفات:إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" 46
من حكاية "فى القفص(3)"

العدد: 3556 – إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن1968 : مقتطفات من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" 54
من حكاية: "الشعلة والحريق"

العدد: 3557 – إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :مقتطفات من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" 60

العدد: 3558 – إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن1968 : مقتطفات من كتاب "عندما يتعرى الإنسان" 69
من حكاية: "الشعلة والحريق"
مزيد من المقتطفات: من حكاية":العلامة

السبـــت 06-05-2017

العدد 3535 – مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (1)

قال الحكيم:

ألم أقل لك إنك تتعلم الحكمة بأسرع مما حسبت، حتى أكاد أراك سبقتَنِى إلى معرفة جوهر الأشياء، أراك تقترب من حقيقة الإنسان بأمانة سوف تجلى بصيرتك، وأكاد أتصورك بعد تجربة مرضك تساهم فى مسيرة الإنسان على طريق تطوره

مقدمة:

.....

أثناء مراجعتى لهذا العمل – عندما يتعرى الإنسان – الذى كتبته منذ خمسين عاما لإعداد الطبعة الرابعة، اكتشفت–كما ذكرت الأسبوع الماضى وما قبله–

اكتشفت الأساس الصلب الذى كان ومازال راسخا فى عمق وجدانى المعرفى عن الإنسان وتطوره، وبدرجة أقل عن الإيقاعحيوى، ومن واقع الحوار المباشر بين الفتى (الذى عبر خبرة المرضى وراح يحاور الحكيم والطبيب)، وأيضا ما □ح فى الحوارات الكاشفة بين المرضى والطبيب (الحكيم) الذى يمثل الموقف الشامل لهذا النوع التطبيب.

قلت أواصل اقتطاف ما يخص المفاهيم الأساسية التى تُظْهِر غور فكرة التطور بهذه الصورة الحوارية المباشرة البعيدة عن التنظير والتقعير، وفى نفس الوقت أحقق ما وعدتُ به من التدخل بأقل قدر من التعقيب لتوفير للوقت لإنجاز إصدار أعمالى فى صورتها الورقية.

المقتطف الأول) :من فصل: "فى القفص") بين الفتى (المحاور) والحكيم

.....

قال الحكيم:

ألم أقل لك إنك تتعلم الحكمة بأسرع مما حسبت، حتى أكاد أراك سبقتَنِى إلى معرفة جوهر الأشياء، أراك تقترب من حقيقة الإنسان بأمانة سوف تجلى بصيرتك، وأكاد أتصورك بعد تجربة مرضك تساهم فى مسيرة الإنسان على طريق تطوره.

المقتطف الثانى) من فصل: "الشعلة والحريق") بين المريض والطبيب (الحكيم(

.....

قال الحكيم:

– التناقض هو من قوانين الحياة وهو المحرّك الأول فى **تطور** الانسان واستمرار الحياة

قال المريض (!!!):

– **آه..!! تطور** الإنسان؟!! أنت تحلم كما كنت أحلم وأنا صغير، يبدو أنك لم تنضج بعد يا دكتور، كيف تقف هذا الموقف وقد شاب المتبقى من شعرك على صلعتك؟ سأعلمك أنا معنى التناقض والنضج: التناقض الجارى هو أن تؤمن حتى تكفر، أن تحب حتى تكره، أن تتحمس حتى تتبلد، أن تصرخ حتى ينحبس صوتك، أن تكبر حتى تموت.. هذا هو التناقض المعروض فهو أن تتشكل وتتلون لتتكيف مع كل زيف حولك، ما علينا .

المقتطف الثالث(من فصل: "الشعلة والحريق)

(منطق المرض: وقبول التحدى)

.....

قال الرجل:

... ولكن قل لى يا دكتور هل تؤمن أنت بشىء، أم أنك ترتزق مثل سائر الكهنة المرتزقة من احتراف مهنة ما.. طبعا أنت مرتزق، هذا واضح، ولكن هذا لا يمنع من السؤال: هل تؤمن بشىء؟

سأعلمك أنا معنى التناقض والنضج: التناقض الجارى هو أن تؤمن حتى تكفر، أن تحب حتى تكره، أن تتحمس حتى تتبلد، أن تصرخ حتى ينحبس صوتك، أن تكبر حتى تموت.. هذا هو التناقض

أما النضج المعروض فهو أن تتشكل وتتلون لتتكيف مع كل زيف حولك، ما علينا

– أنا لا أصلح لهذا العمل إن لم أومن.

– وبماذا تؤمن؟

– أؤمن بالحياة تتحرك نحو غايتها، أؤمن بالإنسان وسلامة توجهه،.. أومن بقدرته على **التطور** والإبداع، وعلى التجديد فيما عنده، أومن بالسعى الممتد إلى ما بعده إليه.

– يا سبحان الله.. يظهر أنه لابد أن تسير طريقى كله حتى تكفر بكل هذا.. أنت تتفرج على الناس من فوق كرسيك هذا وتتشدق بالألفاظ، ولكنك لا تعايشها مثلما فعلت أنا، ولكن قل لى بالله عليك كيف تحتفظ بإيمانك هذا وأنت ترى الفشل تلو الفشل فى صورتنا نحن المرضى.. ألا نيئسك فى حياتك وآمالك حين نفشل ونستسلم؟ هل مازلت ترى نبض الإنسان وراء حطام مثل هذا الجسد الحى الميت أمامك: "أنا"؟.

– إن ما حافظ على إيمانى هذا هو قدرة الإنسان الخارقة على أن يجمع شتات نفسه رغم كل شىء وبعد كل شىء... إن مازاد إيمانى بالإنسان هو رؤيتى له عاريا يصارع الزيف بالألم، نعم بل هو يصارعه حتى بالمرض.. إذا عبَرَه وانتصر.. "أنت" "أنت" الذى حافظتَ على إيمانى هذا.

.....

المقتطف الرابع : تكملة الحوار من فصل: "الشعلة والحريق...

.....

قال الحكيم (الطبيب)

"....إن المرض رفض، والرفض لا يثمر إلا بقيام الثورة وأنا أقف بجوارك لنكمل الطريق .. فالثورة لا تكون ثورة إلا بعد تحقيقها، وإلا فهى محاولات مجهضة فى الظلام. لا يخرج منها إلا مسخ ناقص النمو.

– عليك نور.. أنا المسخ ناقص النمو أنا المسخ المشوه.

– ولكن هذا التشوه الذى يظهر عليك مرحلى وسطحى، أما جوهرك فهو هو، وإلا ما مرضت، المرض يصبح نعمة حين تخرج منه أصلب عودا، وأقدر على الاستمرار.

أؤمن بالحياة تتحرك نحو غايتها، أؤمن بالإنسان وسلامة توجهه.. أومن بقدرته على التطور والإبداع، وعلى التجديد فيما عنده، أومن بالسعى الممتد إلى ما بعده إليه

ن ما حافظ على إيمانى هذا هو قدرة الإنسان الخارقة على أن يجمع شتات نفسه رغم كل شىء وبعد كل شىء... إن مازاد إيمانى بالإنسان هو رؤيتى له عاريا يصارع الزيف بالألم، نعم بل هو يصارعه حتى بالمرض.. إذا عبَرَه وانتصر

– أنا الآن عار من المبادئ، ومن الألفاظ، ومن المعانى، ومن الحياة، فما حيلتك فىّ؟!.

– ولكنك مازلت ثائراً .

– لا ..لا..، كله إلا هذا.. كفانى ثورة

– بل أنت ثائر على تصور فشل الثورة، لذلك فأنت ترتدى مظهر الاستسلام.. ومازالت الجمرة فيك وبك.

– لا تحاول أن تبعث فيها الحياة.. لقد انطفأت الشموع جميعا وعم الظلام.

– الشموع قد تنطفىء، والجمرة قد يعلوها الرماد، ولكنها متقدة فى داخلك.

– لا ترسل نسيم ألفاظك إلى حيث لا تعلم، فإنها لو أشعلت الجمرة من جديد فلا أحد يعرف كيف سأنفجر، سأتحطم تماما وقد أحطمك معى.. ألا تسمع عن المرضى الذين يقتلون.. أنا أشعر الآن بالطريق إلى ذلك، إن هذا يحدث من إعادة اشعال هذه الجمرة، إياك أن تقترب منها داخل أيٍّ منا، دعه يكتوى بنارها المتسحِّبة تحت الرماد حولها حتى يحترق ويموت.

– إذن فهناك جمرة.

– تحترق.. فهيا ساعدها بعقاقيرك المهدئة العظيمة لتنطفىء إلى رماد،.. أرجوك لا تهيجها بألفاظك المثيرة.

– بل العقاقير تهدئها مرحليا حتى تصبح طاقة قادرة على الاستمرار.

– وماذا بقى منى حتى أستمر؟

– كل هذه الخبرات لابد أن تتجمع.. وتعود إلى حياتك العادية، لتجعل العالم كله غير عادى.. **بالتطور** والعمل والاستمرار.

– ولكنى فشلت.. فلماذا **التطور**، هذه كلمة خبيثة خادعة، يبدو أن **التطور** هو خدعة تاريخية

– ليس تماما، وبالذات بعد خبرتك هذه

–ولماذا أنا بالذات؟

قال الحكيم (الطبيب) ....."إن المرض رفض، والرفض لا يثمر إلا بقيام الثورة وأنا أقف بجوارك لنكمل الطريق .. فالثورة لا تكون ثورة إلا بعد تحقيقها، وإلا فهى محاولات مجهضة فى الظلام. لا يخرج منها إلا مسخ ناقص النمو.

العلم الخبيث خليق أن يشوه كل شىء، أن يعطى رقما رمزيا أو إسما تشخيصيا لكل نبض إنسانى، حتى لو كان نبيا

– لأنك مرضت، إذن فقوتك الداخلية أكبر من سائر البشر، إذن فأنت تحمل رسالة **التطور**.

– وهذه الرسالات التى آمنت بها حتى كفرت، ألم تكن وسيلة **للتطور**.

– لو صحّ تطبيقها قد تكون كذلك ، لكن القائمين عليها لم يعرفوا عمق جوهرها

– إذن لماذا احترقتُ بنارها وشككت فى كل شئ.. على فكرة أنا أشك فيك.

– هذا بديهى.

– وأرى خيالات وصورا وأشياء كثيرة من حولى.

– مثل ماذ؟

– أرى أفلاطون وأرسطو وبعض الأنبياء، أى والله أحيانا أعيش فى جمهورية أفلاطون، وأحيانا أنام فى غار حراء.. ما أجمل كل هذا رغم كل شئ...، أن تعيش مع هؤلاء الذين استمروا ليغيروا العالم دون أن يمرضوا، ولا أن ينهاروا، ولكن من يدرى؟ لعله لو كان هناك أيامها طب نفسى كنتم قلتم أنهم مرضى.. كل شئ جائز، فالعلم الخبيث خليق أن يشوه كل شىء، أن يعطى رقما رمزيا أو إسما تشخيصيا لكل نبض إنسانى، حتى لو كان نبيا، على فكرة.. ما اسم مرضى؟

– ليس لمرضك اسم.

– طبعا... تخفيه لأنه الجنون.. فما معنى الجنون؟

– أنا لا أعرف معنى لهذا اللفظ... ولكن ما أنت فيه هو أزمة **التطور** ..أما ما يسمونه جنونا فأنا لا أعرفه إلا حين تتم الهزيمة الكاملة.

– ولكنى هزمت نفسى... فعلا.

– ليس بعد

– إذن ماذا؟

بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أديت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا، انطلاقا من الآن: نحو الغد، وهكذا

– لا بديل للاستمرار

– فما تفسير هذا الفشل كله؟

– لقد نسيت أن **تطور** الانسان يحتاج لآلاف السنين.

– إذن لا بد أن أعيش آلاف السنين حتى **التطور**.

– بل بمجرد أن ترفض الهزيمة والاستسلام فإنك تكون قد أديت دورك لتسلم الشعلة لمن بعدك، ليخطو هو أيضا، انطلاقا من الآن: نحو الغد، وهكذا.

الأحـــد 2017-05-07

العدد 3536 – مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (2)

إنها محنة على الطريق.. إن المبدأ لا يعيبه تأخر تحقيقه أو صعوبة تطبيقه

كل إنسان لابد أن يأكل ويعيش، لابد للحق أن ينتصر، لابد للحرية الحقيقية أن تزدهر

إن المبالغة فى تقديس معطياته (العلم) دون تمحيص، وعبادة أرقام بطريقة عمياء، قد يزركش الطريق ولكنه ليس دائما دليلا على سلامته وصحته

مقدمة:

مازلنا مع هذا العمل – عندما يتعرى الإنسان –الذى كتب من خمسين عاما يعلن عمق وأصالة الفكرة ، ويبرر ما ترتب عليها من فروض

المقتطف الخامس) جزء آخر من الحوار من فصل: "الشعلة والحريق"أيضا...)

الحكيم (الطبيب)

– بل إنها محنة على الطريق.. إن المبدأ لا يعيبه تأخر تحقيقه أو صعوبة تطبيقه؛ كل إنسان لابد أن يأكل ويعيش، لابد للحق أن ينتصر، لابد للحرية الحقيقية أن تزدهر، فقط....الوقت، الإشكال الآن هو أن إنسان الأمس بخوفه وضعفه ونقصه، يطبق اليوم.. نظرية الغد، فينشأ التضارب والفشل، ولكن الفشل فى التطبيق لا ينبغى أن يفقدنا الثقة فى المبادئ.. وفى الغد.. وفى التطور.

المريض – إذن ماذا؟

– أنت لا تملك إلا هذا.

– هذا ماذا؟

– أن تستمر.

– لم أعد أستطيع.

– الكيمياء تهدىء الألم وتحافظ على قوة الجمرة وإن خفُتَ بريقه مؤقتا.. ثم تستمر.

علينا أن نعرف قصوره (العلم) حتى نستكمل أبعاده وإلا انزلقنا إلى سبيل ضال رغم بريقه، قد يعوق تطور الانسان ونحن نتصور أنه يزين حاضر حياته

لو نظر الشباب إلى من سبقوهم فى طريق الخداع وحاولوا أن يغوصوا فى أعماقهم ليعرفوا مدى تحقيقهم لأهدافهم لاتَّعظوا قبل فوات الأوان

مهما خافوا من الألم أن يهدد سكينتهم الراكدة فهم سيعلمون هول المصير الكالح ممن سبقهم، لذلك فهم قد يتعلمون أن للثورات وقت مناسب فى محطات متتالية، لو فاتهم الانتباه إليها وأضاعوا فرصهم تباعا فقد لا تلوح لهم من جديد

– وكيف أطمئن ثانية بعد أن هزنى الخوف والشك

– ليس هناك بديل.

– وما أدراك

– خبرتى وعلمى وحبى للحياة الذى لا يهتز.

– هل تحب الحياة، فعلاً؟

– نعم

– حتى ما تناثر فيها من الشظايا المنتفخة بالعفن، مثلى

– وبخاصة الشظايا المنتفخة بالعفن، فوراءها طاقة الانسان المتطورة الخلاقة.

– ألن تتخلى عنى؟

– لا أستطيع

– مهما أصابتك شظاياى؟

– مهما حدث

– وهل أستطيع؟

– وهل تستطيع غير ذلك؟

– لا أظن

المقتطف السادس:_مدخل إلى فصل: "العلاّمة "

قال الحكيم:

–ليس على العلم خوف ولا فى حديثنا عنه حرج، ولا ينتقص منه أن يمر أحد رهبانه بأزمة وجود، وعلى أية حال فإن المبالغة فى تقديس معطياته دون تمحيص، وعبادة أرقام بطريقة عمياء، قد يزركش الطريق ولكنه ليس دائما دليلا على سلامته وصحته، وعلينا أن نعرف قصوره حتى نسكتمل أبعاده وإلا انزلقنا إلى سبيل ضال رغم بريقه، قد يعوق تطور الانسان ونحن نتصور أنه يزين حاضر حياته، وحكاية اليوم لا تنقص من العلم بل تزيد من إمكانياته، ولا تنفى ضرورته بل توسع آفاقه.، وهى حكاية "العلامة" الذى كاد يكفر بعلمه حين اهتز كيانه.

قال الفتى:

– وكيف كان ذلك؟

.....

(قرب نهاية الحوار بين الطبيب والعالم الذى تصدّع وهو يرفض الزيف: من فصل "العلاّمة)

.....

–تعلّمنى نظريات جديدة غير مضمونة النجاح، لقد شبعت نظريات.

الطبيب (الحكيم:(

–بل تحس بنبض الصحة من واقع خُذْ وهاتْ

–على ألا أرجع للكتب ومعمل الأبحاث.

–بل حين ترجع للكتب ومعمل الأبحاث سوف تملؤها من فيض خبرة حياتك، وجسارة صدقك.

–أنت تحلم

– أنا أمارس هذا الحلم

– عندهم حق

– من؟

–الذين يقولون أنكم مثلنا

– حتى نفهمكم؟

– ومن يفهمكم؟

– أنتم

– لغة خاصة فى سراديب طبية !! ؟

– نخترق بها الحواجز

– أى حواجز؟

– كل معوقات التطور

– ولن تتركنى؟

– لا أستطيع

– لماذا؟

ليس عندى بين الأبيض والأسود ظلال، إما أن نحيا أو لا نحيا، ليستسلمْ من شاء، وليخالفْ من شاء وليتردّدْ من شاء، ولكن الذى سيستمر هو الذى سيختار الحياة ليوقف التدهور

هم يختارون البقاء للبقاء سواء كان بقاء فيه حياة لها صفات الإنسان أم كان بقاء مؤقتاً يماثل بقاء أولاد عمومتنا الذين سبقونا وتوقفوا، يرتضون الحياة التى تشكلت، الحياة سابقة التجهيز، ولكنهم لا يشكلونها

الحياة التى أعنيها هى الصراع للتطور، وليس فقط المحافظة على البقاء.

قانون الحياة فرض علىّ كإنسان أن أكون فى موقع من المعركة هو المقدمة، على خط النار

أنا كطبيب نفسي أرى الصراع الممثل فى المرض النفسى يمثل صراع الإنسان مع أجداده الحيوانات الذين يحملهم بين خلاياه، فالانسان يحمل كل آثاره القديمة وكل الصفات التى ورثها عن أجداده جميعاً، إلا أنه يتحكم فيها ويوجهها لتخدم صفاته الإنسانية، وهذه الآثار القديمة تثور عليه حين ينساها فيكون المرض

– لأننا لا نفترق حتى لو تباعدنا، أنا أحتاجك مثلما تحتاجنى

– تحتاج هذه النفاية البشرية!

– بداخلها طاقة الذرة المتفجرة

– لماذا تحتاجنى؟

– ليزداد البشر واحدا

– يا صلاة النبى

– عليه الصلاة والسلام .....

.....

.....

ثم (بين الفتى والحكيم)

الحكيم:

ولو نظر الشباب إلى من سبقوهم فى طريق الخداع وحاولوا أن يغوصوا فى أعماقهم ليعرفوا مدى تحقيقهم لأهدافهم لاتَّعظوا قبل فوات الأوان، ومهما خافوا من الألم أن يهدد سكينتهم الراكدة فهم سيعلمون هول المصير الكالح ممن سبقهم، لذلك فهم قد يتعلمون أن للثورات وقت مناسب فى محطات متتالية، لو فاتهم الانتباه إليها وأضاعوا فرصهم تباعا فقد لا تلوح لهم من جديد.

قال الفتى :

– أخالك تصعّب عليهم الحياة.

قال الحكيم:

– ليس عندى بين الأبيض والأسود ظلال، إما أن نحيا أو لا نحيا، ليستسلمْ من شاء، وليخالفْ من شاء وليتردّدْ من شاء، ولكن الذى سيستمر هو الذى سيختار الحياة ليوقف التدهور.

قال الفتى:

– ولكن الناس كلهم يختارون الحياة.

قال الحكيم :

– هم يختارون البقاء للبقاء سواء كان بقاء فيه حياة لها صفات الإنسان أم كان بقاء مؤقتاً يماثل بقاء أولاد عمومتنا الذين سبقونا وتوقفوا، يرتضون الحياة التى تشكلت، الحياة سابقة التجهيز، ولكنهم لا يشكلونها، هم يتسابقون فى حجرة مغلقة مبطنة بالكاوتشوك الطرى فلا يتألمون، ولكن الحياة التى أعنيها هى الصراع للتطور، وليس فقط المحافظة على البقاء.

قال الفتى:

–وكأنك تريد القضاء على الإنسان الحالى فى مقابل وهم فى رأسك تزعم أنه ممكن.

قال الحكيم:

–أنا لا أزعم شيئا ولا أتوهم خيالا، ولكن قانون الحياة فرض علىّ كإنسان أن أكون فى موقع من المعركة هو المقدمة، على خط النار، وأنا كطبيب نفسي أرى الصراع الممثل فى المرض النفسى يمثل صراع الإنسان مع أجداده الحيوانات الذين يحملهم بين خلاياه، فالانسان يحمل كل آثاره القديمة وكل الصفات التى ورثها عن أجداده جميعاً، إلا أنه يتحكم فيها ويوجهها لتخدم صفاته الإنسانية، وهذه الآثار القديمة تثور عليه حين ينساها فيكون المرض، لذلك أنا لا أملك أن أزعم شيئا خاصا مبتدَعاً، وإنما وجودى على خط النار يلزمنى بترجيح الغد على الأمس، على أن يستمد الغدّ قوته من طاقة الأمس، فيصبح إنسان اليوم وحدة متكاملة متناسقة تخدم مرحلة التطور الحالية: لا تنسى التاريخ وهى تصنع المستقبل، وقد كنت فى أول رحلتى مع النفوس المتصدِّعة أتصور أن الطبيب ينبغى ألا يتصور نفسه مصلحاً أو داعية، ولكن بعد فترة وجدت ذلك امتهانا لإنسانيتى، فلا يمكن أن تأتينى الثورة حتى عندى ثم يكون كل دورى هو أن أتفرج عليها... أحجم عن المشاركة فى توجيهها للغد.. لا، لقد قررت أن أعيش، وأن أشارك، وأن أرجح كفة الغد، ما أتيحت لى الفرصة لذلك.

قال الفتى:

–ألا تخشى أن تفرض مُعتقداتك على المرضى أو قل: على الثائرين إن شئت، سمِّهم كما ترى؟

قال الحكيم:

وجودى على خط النار يلزمنى بترجيح الغد على الأمس، على أن يستمد الغدّ قوته من طاقة الأمس، فيصبح إنسان اليوم وحدة متكاملة متناسقة تخدم مرحلة التطور الحالية: لا تنسى التاريخ وهى تصنع المستقبل

كنت فى أول رحلتى مع النفوس المتصدِّعة أتصور أن الطبيب ينبغى ألا يتصور نفسه مصلحاً أو داعية، ولكن بعد فترة وجدت ذلك امتهانا لإنسانيتى، فلا يمكن أن تأتينى الثورة حتى عندى ثم يكون كل دورى هو أن أتفرج عليها... أحجم عن المشاركة فى توجيهها للغد

بل هم الذين علمونى معتقداتى، هم الذين جعلونى أومن بالانسان وبالغد الذى يبدأ الآن، وهم الذين فرضوا علىّ النقلة من "مطبطباتى" إلى إنسان يضع خبرته وعواطفه مع التطور مهما كلفه ذلك من جهد.

.....

.....

قال الفتى:

–إذن مازال الرجل برغم كل هذه المعاناة مؤمناً بالحق، ساعيا إليه بالرغم من كل ما جرى

قال الحكيم:

– نعم وإن كان الطريق شاقا وطويلا، إلا أن الإنسان الذى يرفض الزيف حتى بالمرض، لا يستسلم إلا بعد جولات وجولات، ونادراً ماتكون الضربة قاضية بعد ما عرف الطريق دون أن تصعقه الضربات الأولى.

قال الفتى:

– ولكن لماذا امتلأت حياتنا هكذا بالزيف، أنت تعرى فى حكاياتك كل الأشياء حتى تبدو الحياة أحيانا وكأنها تمثيلية سخيفة.

قال الحكيم:

– وبالرغم من ذلك فإن القليل الحقيقى فى هذه الحياة هو الذى يبقى، ولكن يبدو يا بنى أنه لابد من الكثير الغث حتى يظهر القليل الجوهر، والإنسان يلجأ إلى السيطرة والقوة وإلى العلم وإلى كل ما يغريه بالتفوق ولكنه لا يصل إلى جوهر الأشياء إلا بالصدق والسعى والكدح إلى الحق ناقدا معاوِدا.

لقد قررت أن أعيش، وأن أشارك، وأن أرجع كفة الغد، ما أتيحت لى الفرصة لذلك

هم الذين علمونى معتقداتى (المرضى)، هم الذين جعلونى أومن بالانسان وبالغد الذى يبدأ الآن، وهم الذين فرضوا علىّ النقلة من "مطبطباتى" إلى إنسان يضع خبرته وعواطفه مع التطور مهما كلفه ذلك من جهد

إن القليل الحقيقى فى هذه الحياة هو الذى يبقى، ولكن يبدو أنه لابد من الكثير الغث حتى يظهر القليل الجوهر

السبـــت 13-05-2017

العدد 3542 – مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (3)
منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان "عن الطاقة،
والحافة المفترقية

إذا كان الظلام... كان الخوف، وإذا كان الخوف كانت الطاعة... وإذا كانت الطاعة في ظلام كان الضياع، وإذا كان الضياع كانت النهاية

مقدمة:

إذن فالمسألة قديمة وراسخة، وهى تتجدد باستمرار

المقتطف السابع) ـجزء من الحكاية الأولى: "الضياع)

.....

بين المريض والحكيم:

قال الشاب المريض:

– أنا لا أحس بشيء ولا أفهم شيئا ولا أريد شيئا غير حريتى، أنا سجين الألفاظ. لن أستعملها بعد ذلك... سوف ألزم الصمت. فلنُنْهِ الحديث.

قال الحكيم:

=فلنَنْتَهِ منه أولاً، ربما معك حق، ولكن..

– وماذا تعنى هذه الـ.."لكن"؟

= ..إننا نحس بنبض الألفاظ دون حاجة إلى تعريفها بألفاظ أخرى ربما زادتها غموضا، بل إننا قد لا نحتاج إلى ألفاظ كثيرة إذا شعرنا بنبض القليل منها.

.....
....
استمر (الشاب) فى نظرته وكاد يصمت ولكنه قال فجأة:
– إذا كان الظلام... كان الخوف، وإذا كان الخوف كانت الطاعة... وإذا كانت الطاعة فى ظلام كان الضياع، وإذا كان الضياع كانت النهاية، وآه لو صحوتَ قبل نهاية النهاية... آه لو رأيت الموت وهو يزحف إليك.
= المهم أن يوجد من يفهم ويحس، أن يوجد طريق... ورفيق
– فأنت تدّعى الفهم.
= بل أحاوله.
– ولكنك مثلهم.
= لا أختلف كثيرا

حين رفضتُ واقعى حطمت فيما حطمت ذاتى، وحين عدت أبحث عنها وجدت حلقات الفراغ وأكوام التكاثف

.....
قال الحكيم:
=هل نتفق؟
– على ماذا؟
= على رفقة الطريق.
– لن أخسر شيئا.. فليس عندى شىء أخسرهْ.
= لكن عندك شيئا تكسبهْ.
– ماذا يا تُرى؟
= **هذه القوة المهدّدة.. لو تجمعت هى كل شىء.**
.....
قال المريض:
– **هى الآن قوة مشتتة ضائعة بلا فاعلية، لقد استهلكتْها عملية الرفض والتحطيم** ..حين رفضتُ واقعى حطمت فيما حطمت ذاتى، وحين عدت أبحث عنها وجدت حلقات الفراغ وأكوام التكاثف، قد أشعر بهزة هنا ورعشة هناك ولكنها تنزلق فى تشتت عجيب .

قال الحكيم:

=ولكنها **متجددة دائما... هذه طبيعتها.**

قال الفتى:

–أنا لم أعد أحس بشيء غير الضياع.

.....

=ولكن هذا لا يعنى أنه ليس هناك شيء.

– إذا كان هناك شيء آخر فلماذا لا أحس به.

= سوف يتجمع. ثم تحس به ثم تنطلق... فقط لابد أن نعرف من أين وإلى أين.

.....

= ليس لطريق المراجعة والبناء بديل.

– لماذا لا تدعْنى فى هذا الفراغ بلا حدود.

= لأنه "ما أقسى التمزق والضياع".

.....

******

)بين الفتى والحكيم(

قال الفتى:

– إذن فقد كان على **حافة الهاوية.**

قال الحكيم:

= أو كان على حافة ا□نطلاق، فهما حافتان متقاربتان على كل حال وكثيراً ما يحدث ا□نطلاق حتى بعد التردى فى الهاوية، فالقوة الدافعة قادرة متجددة ابدا.

قال الفتى:

– ولكن ما هذه القوة التى تتحدث عنها وكأنها كل شيء فى الإنسان: الخير والشر، الانطلاق والتحطيم، الخلق والجنون.

قال الحكيم:

= إنها القوة الأصل، **قوة الفطرة التى يطور بها كل حى نفسه ونوعه** .

قال الفتى:

– ولكنها كثيرا ما تنزلق بنا إلى دائرة مغلقة أو طريق خطر.

قال الحكيم:

= ولهذا لا بد أن نفهم طبيعتها واحتمالات مسارها، وتوجهات مداراتها.

.....

وبعد

انتهى المقتطف

مرة أخرى: كتب ذلك **منذ نصف قرن**

فهل لاحظتَ توجه الموقف مع ما ندعو إليه فيما يسمى الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى

الأحـــد 2017-05-14

العدد: 3543- مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى (4)
من كتاب "عندما يتعرى الإنسان": منذ نصف قرن (3)
مُعجم الألفاظ الجاهز وخوف الأهل من القادِم المجدِّد

كان يخامرها شعور لم يصل إلى درجة الوعى بأنها أكملت عملا مجيدا طوال أيام وليال عاشتها تسهم فى خلق وتكوين كائن حى جديد، ولعله شعور فريد تختص به المرأة الأم، ولعل هذا هو ما يميزها عن الرجل

مقدمة:

إذن فالمسألة قديمة وراسخة، وهى تتجدد باستمرار

المقتطف الثامن) :مدخل حكاية "الضياع)

حوار الحكيم مع الفتى الناقه

(قبل الدخول إلى الحكاية)

.....

قال الحكيم:

=كان ذلك أمر غلام ولد كما يولد الناس فى هذه الأرض الطيبة: ففى ساعة متأخرة من ليلة شتاء أو قل فى ساعة مبكرة من صباح يوم تالٍ- طبقا لموقفك من الزمن- ترددتْ بين جنبات ذلك البيت المتوسط فى كل شىء صيحات طفل أطلقت أمه سراحه إلى رحاب الدنيا، واستراحت فى هدوءٍ عظيم، يحسبه الناس إعياءً وما هو كذلك، فهى تنصت إلى هذا المخلوق الجديد بسعادة فطرية بالغة، فبرغم الجهد وبرغم كل شئ.. كان يخامرها شعور لم يصل إلى درجة الوعى بأنها أكملت عملا مجيدا طوال أيام وليال عاشتها تسهم فى خلق وتكوين كائن حى جديد، ولعله شعور فريد تختص به المرأة الأم، ولعل هذا هو ما يميزها عن

الرجل، ولعل هذا أيضا هو ما يدفع الرجل إلى محاولة المساواة بالمرأة وهو يحاول عملا أصيلا يعوض حرمانه من هذه القدرة الطبيعية على الخلق بمجرد الاحتواء، لعل..

قال الفتى:

-إذن فقد خرج صاحبنا إلى رحاب الدنيا مثل كل البشر.

قال الحكيم:

= نعم، ولكن رحاب الدنيا كانت أضيق من رحم أمه، فمنذ ملأ رئيته بالهواء، وملأ أذنى أمه ووجدانها بالصياح، ابتدأت عملية ملء رأسه بالأوهام، فها هو يُفرض عليه أسلوب الحياة الجارى بتتابع وتصميم يلفّانه ويعوِّقان حركته تماماً مثل اللفائف التى أحاطت بجسده بعد ولادته، فقد تم الانقضاض على كيانه بهذه الكوافيل والأوهام فى آن واحد، وكأنه ارتدى قميص الأكتاف الشهير، ويفسر الأهل هذه التلافيف "بخوفهم" عليه: من الجو مثلا، والجو.. هو الطبيعة، وهو لم يزل جزءا منها، والطبيعة هى مصدر الحياة وأصل التوازن، فكيف تحمِل هذه الطبيعة ابتداء تهديد الخطر! ولكن هل هم يخافون عليه فعلا أم يخافون منه؟ أليس فى هذا الزعم الأخير تفسير لهذا الانقضاض المزدوج بالكوافيل والأوهام جميعا؟ ولكن من أين يأتى الخطر من هذا المخلوق الضعيف الذى لم يتشكل بعد؟ ربما يكمن فى أنه "لم يتشكل بعد"، فى أنه مشروع إنسان لم يُصَغْ بعد مثلما صيغ أبواه ومجتمعه؟ أهو احتمال أن يتشكل بشكل مخالف هو الذى يبعث الخوف فى الجميع لأنه يهدد ضمنا أوهامهم التى عاشوا فى أمن سخفها – أو فى سخف أمنها– حتى ذلك الحين؟!

سأل الفتى:

أيكون هذا هو السبب الذى يجعلهم يسرعون بإدخاله فى نفس الجهاز ليخرج بنفس الأبعاد التى يعيشونها، وعلى نفس الهيئة؟

هذا أيضا هو ما يدفع الرجل إلى محاولة المساواة بالمرأة وهو يحاول عملا أصيلا يعوض حرمانه من هذه القدرة الطبيعية على الخلق بمجرد الاحتواء، لعل

لكن رحاب الدنيا كانت أضيق من رحم أمه، فمنذ ملأ رئيته بالهواء، وملأ أذنى أمه ووجدانها بالصياح، ابتدأت عملية ملء رأسه بالأوهام، فها هو يُفرض عليه أسلوب الحياة الجارى بتتابع وتصميم يلفّانه ويعوِّقان حركته تماماً مثل اللفائف التى أحاطت بجسده بعد ولادته

قال الحكيم:

يبدو يا بنىّ أنه كل ذلك معاً.

فمن قبل أن يحس له بكيان ما، أخذوا يسارعون بإغراقه فى دوامة من التعويد، بعد التقييد، فمثلا هو يتعود على ذلك الشىء البارد الذى يلامس مقعدته فى مواعيد منظمة مع ما يصاحب ذلك أو يتناوب معه من تأنيب وهجر، وهو يمارس وظيفة لا تختلف فى نظره عن الأكل والشرب، بل إن الأكل والشرب أيضا كانا يتحددان بساعة على الحائط يحترمون دقتها أكثر من احترامهم دقاته هو، فليصِحْ أو تُدقُّ عنقه... فالساعة لم "تدقّ" بعد.

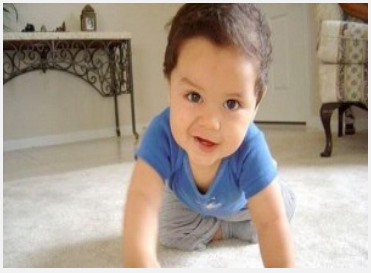

وتأتى سائر الأحكام على هذا النمط تماما، وهو يستسلم لكل ذلك، ويحقق بهذا رغبة والديه فى أن يكون نظيفاً ظريفاً، صالحاً "للعرض" على الزوار مع التحف التى على المناضد والصور التى على الحائط، والسجاد الذى على الأرض وسائر المميزات التى تحدد نوع طبقتهم ومعالمها، وكانت نظافته وهدوؤه ضمن هذه المعالم المميزة فضلا عن أنه كان يقوم بوظيفة تبرير حياتهم التى لابد أنها لا معنى لها بدونه، وإلا لما أجابوا السائل – وربما فى ذلك أنفسهم– بأنهم إنما يعيشون من أجلهم (الأولاد)، وكأنهم بغير الأولاد ليس لهم حياة قائمة بذاتها، فلو أن لهم حياة وذوات مستقلة، لأتاحوا للأولاد فرصاً أرحب، ولكنهم يُقنعون أنفسهم–ويتبادلون الإقناع مع الآخرين– أنهم يضحُّون فى سبيل الصغار.. فى حين أنهم يحتوونهم احتواء ليضمنوا لأنفسهم أمانا أو استمرارا.

وهكذا يتحمل صاحبنا ضياع والديه، كما يتحمل خوفهم ونقصهم، ويختلط الخوف بالوهم بالضياع ليصبح قالبا يصاغ فيه الأولاد، وهو قالب متين مضمون، يحفظ صاحبنا ويحافظ عليه.. يحافظ على حياته التى هى حياتهم التى هى "لا شىء" على قدر إدراكهم، أو قل على قدر عدم إدراكهم.

وكأنهم بغير الأولاد ليس لهم حياة قائمة بذاتها، فلو أن لهم حياة وذوات مستقلة، لأتاحوا للأولاد فرصاً أرحب، ولكنهم يُقنعون أنفسهم–ويتبادلون الإقناع مع الآخرين– أنهم يضحُّون فى سبيل الصغار.. فى حين أنهم يحتوونهم احتواء ليضمنوا لأنفسهم أمانا أو استمرارا.

قال الفتى للحكيم:

– ولكنى أراك تصف الوالدين بلا رحمة.

قال الحكيم للفتى:

= بل أنا رحيم بهما قبل أولادهما، فإن المأساة فى أنهما "لا شىء" بإدراك أو بغيره، وهما فى خوف وحسن نية يحاولان أن يعددوا اللاشىء غير مدركين أن حاصل الضرب دائما هو "لاشىء".

قال الفتى:

– ولكن الوالدين ليسا كل شىء.. فسرعان ما سيتكلم صاحبنا وينطلق ويعرف طريقه إلى العالم الأوسع.

قال الحكيم:

= نعم... ربما... وياليته فعل.

لقد كان خليقا به أن يجد القيود تخف عنه بعد أن أصبح ناطقا متحركا، فهو يستطيع التعبير عن نفسه فى المرحلة الجديدة، ولكن اللغة الجديدة فى صورة الألفاظ كانت عليه لا له، فقد سهلت سبيل تضييق الخناق، وبالتالى تحقيق الصياغة النموذجية "اجتماعيا" ولو عددتُ لك الأمثلة ما انتهى الحديث أبدا، ولكنى أعرض عليك بعض النماذج الرمزية لمعانى الألفاظ، فقد أصبح لفظ "الشارع" يعنى عنده "الموت تحت العجلات"، و"السلالم" "قصف الرقبة"، و"الظلام" هو "الجان" و"القذارة" هى "ابن البواب"... إلى آخر ذلك القاموس الذى تعرفه، وهو يعيش كل لفظ بمعناه المفروض عليه فى استسلام من لا يملك إلا الاستسلام، ولا تزال حصيلته تزداد بمرور الأيام لينمو قاموس المعانى بسرعة فائقة ويشمل أبوابا وفصولا جديدة تزيد حبكة الصنعة الاجتماعية فلا بد بعد أن تزدحم الصفحات من أن تصنف وتقسم: ففى فصل العيب، باب الحرام – مثلا – نجد ألفاظا تشير إلى أعضاء فى جسمه وأفكار فى رأسه، وعواطف فى صدره، وقد كانت تغلبه الحيرة، حتى وهو فى استسلام من لا يملك إلا الاستسلام، فيتساءل: لماذا خلقت هذه الأعضاء

يتحمل صاحبنا ضياع والديه، كما يتحمل خوفهم ونقصهم، ويختلط الخوف بالوهم بالضياع ليصبح قالبا يصاغ فيه الأولاد، وهو قالب متين مضمون، يحفظ صاحبنا ويحافظ عليه.. يحافظ على حياته التى هى حياتهم التى هى "لا شىء" على قدر إدراكهم، أو قل على قدر عدم إدراكهم.

المأساة فى أنهما "لا شىء" بإدراك أو بغيره، وهما فى خوف وحسن نية يحاولان أن يعددوا اللاشىء غير مدركين أن حاصل الضرب دائما هو "لاشىء".

والعواطف ما دامت عيبا أو حراما؟ ويوضع فى رأسه أنها إنما خلقت لنخْفِيهَا، أو حتى لنحاربَها، فيخجل وينكمش، ويستسلم أكثر.

قال الفتى للحكيم:

– ولكن هذا يحدث لكل الناس.

قال الحكيم:

= وربما هذا هو: مأساة كل الناس.

قال الفتى:

– ولكن يبدو أنه لا بديل لذلك.

قال الحكيم:

= ها نحن نحاول أن نجد البديل، إذ نتدارس الحكمة الملقاة على الطريق فى صورة شظايا النفوس المتفجرة بدل أن نجمعها لمجرد لصقها لنمنع الأذى عن أنفسنا.

وبعد

هذا ما كان منذ نصف قرن،

لكننى حاليا وأنا أراجع للطبع (الورقى) ما كتبته سنة 2007، أى منذ عشر سنوات فقط، وهو الطبعة الثانية للجزء الثالث من ثلاثية" **المشى على الصراط"**، وعنوانه" **ملحمة الرحيل والعود**"، وجدت بين هذا العمل الأحدث وبين ما كتبتُهُ من نصف قرن فروقا دالة جدا، مما أغرانى أن تتبادل المقتطفات مع بعضها البعض لعلها تتكامل، وربما يكون فى ذلك بعض ما يبرر اعتذارى عن اختزال، أو تأجيل، ما كنت بصدده عن الفصام مغارة الضياع ووعود الإبداع ، وعلى الله قصد السبيل

قد كانت تغلبه الحيرة، حتى وهو فى استسلام من لا يملك إلا الاستسلام، فيتساءل: لماذا خلقت هذه الأعضاء والعواطف ما دامت عيبا أو حراما؟ ويوضع فى رأسه أنها إنما خلقت لنخْفِيهَا، أو حتى لنحاربَها، فيخجل وينكمش، ويستسلم أكثر

الإثنيـــن 15-05-2017

العدد: 3544 - مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :من كتابه "عندما يتعرى الإنسان"
عقار اسمه "إنسانيتكو(Insayettco) !!"
(من الحكاية الثانية: كرسى على عجل)

علىّ أن اعترف بفضل المصدر، وهو مرضاى، ومهنتى، وكل من ظنّ بما أحاوله خيرا، فنقدنى أو صححنى أو أرشدنى، أو أضاف إلىّ، هذا فضلا عن ما وصلنى من كل من اجتهد على نفس الدرب إلى نفس الغاية بأى لغة وفى أى تخصص

مقدمة:

أثناء كتابتى نشرة الاثنين، وهو اليوم الذى خصصته لموضوع (كتاب)"الفصام مغارة الضياع ووعود الإبداع" شعرت بأننى أظلم الموضوع بقدر ما أظلم المتابع، فهو موضوع متخصص ، مع أن كل من يكتب لى تعليقا متواضعا عنه (إلا ثلاثة أو أربعة أحيانا) هو غير متخصص، لكن هذه التعليقات من غير المتخصصين تطمئننى أكثر وتشعرنى بحاجة الناس العاديين – أصحاب المصلحة – إلى هذا الفكر العملى البسيط المفيد، مهما بدا للمتخصصين غير مدعم بأرقام (و..و..أموال)، وحين رجعت إلى كتابى الباكر الذى نقتطف منه تباعا ما يثبت أن هذا الفكر متأصل منذ أكثر من نصف قرن، وجدت العناوين الفرعية للطبعات المتتالية كالتالى:

الطبعة الأولى والثانية" :صور من عيادة نفسية:"

الطبعة الثالثة" :دروس للناس فى الطب النفسى"

أما هذه الطبعة (الرابعة) وهى التى سوف تصدر هذا الأسبوع فقد تغير العنوان الفرعى إلى" الطب النفسى الآخَر: من الناس إلى الناس"،

ولعل دلالة هذا التغير هو تقرير ما وصلنى من خلال الإقدام على إصدار النشرة اليومية" **الإنسان والتطور**"، وما تبينته خلال العشر سنوات التى صدرت فيها (تاريخ صدور أول نشرة هو أول سبتمبر 2007) ، وبالذات من خلال تتبع بريد الجمعة، وبرغم تشجيع ونداءات الإبن والزميل صاحب الفضل أ.د. جمال التركى،كل ذلك أدى إلى أن يتدرَّج وعيى بالمتلقى حتى انتبهيت إلى أن يكون خطابى موجه" **إلى كل من يهمه الأمر**"، سواء أمرَ نفسه، أم أمر الإنسان، أم أمر الإيمان، أم أمر لغتنا الحضارة، أم أمر ثقافتنا المهمَّشة، أم أمرَ حسابه على وقته، وذرات علمه، ولقاء ربه، هذا ما انتهيت إلى أنه يرضينى ويحملنى مسئولية الاستمرار ما دمت قادرا،

أنا أتعلم من الناس (المرضى والأصحاء ونفسى ومن حولى)، وأرد له دينهم بما وصلنى وهو طب نفسى أيضا ، لكنه"طب أخر"، لعله أبسط، وأنفع، وأقرب إليهم.؟

لكننى فى نفس الوقت وجدت أننى إذا كنت قد اطمأننت إلى تحديد المخاطَب، فعلىّ أن اعترف بفضل المصدر، وهم مرضاى، ومهنتى، وكل من ظنَّ بما أحاوله خيرا، فنقدنى أو صححنى أو أرشدنى، أو أضاف إلىّ، هذا فضلا عن ما وصلنى من كل من اجتهد على نفس الدرب إلى نفس الغاية بأى لغة وفى أى تخصص، وهكذا جاء العنوان الفرعى لهذا الكتاب التاريخ) عندما يتعرى الإنسان) "من الناس إلى الناس "فأنا لا أقدم صورا من عيادة نفسية كما جاء فى العنوان الفرعى للطبعة الأولى، ولا أدرس دروسا للناس فى الطب النفسى، كما جاء فى الطبعة الثانية والثالثة، وإنما أنا أتعلم من الناس (المرضى والأصحاء ونفسى ومن حولى)، وأرد له دينهم بما وصلنى وهو طب نفسى أيضا ، لكنه"طب أخر"، لعله أبسط، وأنفع، وأقرب إليهم.؟

كما وعدت، سوف أواصل الاقتطاف من أعمالى القديمة ما يوضح أكثر فأكثر أبعاد وماهية هذا الطب النفسى الآخر، ويوفر وقتى لنشر ما تيسر ورقيا

وبعد

يا ترى هذه المقدمة الطويلة سوف تشرح لماذا قررت أن أؤجل الحديث عن الفصام ، وهو المعلم الأول والشهادة لله، حتى تتاح له الوقت الذى يستحقه إذا نجحت فى إنجاز عدد من الطبعات الورقية لما تجمّع لدى من سائر أعمالى، وأيضا ربما تتاح له المساحة المناسبة، بعد انتهائى من حوارى مع مولانا النفرى،

إن الألم هو علامة وجودى...
إن ما بقى لى هو الألم،
ولكنه ألم من نوع خاص..
إنه مأساة الحياة، إنه ثمن
الخداع.. أريد أن أسير فى
الشوارع أنادى الناس أن
يصحُوا قبل فوات الأوان..
أن يراجعوا الطريق.. أن
يرفعوا العصابة

وهربى فى أحوال وأهوال، واعتذارى لشيخى محفوظ كل خميس، ربما، والله يفعل ما يشاء ويختار.

كما وعدت، سوف أواصل الاقتطاف من أعمالى القديمة ما يوضح أكثر فأكثر أبعاد وماهية هذا الطب النفسى الآخر، ويوفر وقتى لنشر ما تيسر ورقيا.

تعالوا نرى مقتطف اليوم، وهو من نفس الكتاب مع التذكرة بأنه" الطب النفسى الآخر "لنعرف بعض ما هو آخر فيه

المقتطف

من الحكاية الثانية" :كرسى على عجل"،

ونقتطف الحوار مباشرة بين الحكيم والمريض

لنختم هذه النشرة بالحوار بين الفتى الناقِهْ مع الحكيم.

قال الحكيم (الطبيب)

للمريض (المحترم)

.....

= ولكن للأمر وجها آخر

قال المريض:

– نعم... لكل شىء وجه ووجه، ولكن أين وجهى أنا بين الوجوه، لقد لاحظتْ زوجتى تأملى مرآتى وأنا أحلق ذقنى كل صباح، وخشيتُ أن تظن بىَ الظنون، كنت أشدُّ جلِد وجهى لعلى أجد تحته وجها آخر أتعرف عليه، ولكن هيهات، بينى وبين نفسى يقف الناس حائلا بينى وبينى، فكرت أن آخذ مرآة معى فى المكتب، وخلوت بنفسى، ولكن أحسست أن خيال زوجتى يقبع معى فى ركن الحجرة تنظر إلىّ بنظراتها الهادئة الواثقة الضاغطة، تطل علىّ من صفحة المرآة.. حتى فى المكتب، وخشيت إنْ أنا أخرجتُ المرآة أن ينادى خيالها الموظفين ليشاهدوا

مديرهم وهو يبحث عن نفسه تحت جلد وجهه، ماذا بقى بينى وبين الجنون؟ لقد كنت أشاهد نفسى أحيانا وهى تخرج لى لسانها؟ هكذا خيل إلى، بل إنى أحيانا أخرج لسانى لنفسى دون مرآة لأن كل ما عملته لا شيء... لا شيء، لقد صنعتُ نفسى من لا شيء فوجدت أننى ما صنعت إلا اللاشيء.

قال الطبيب (الحكيم:(

=ولكن هذا الألم كله، كل ما انت فيه الآن: ... هل يخرج من لا شيء.

قال المريض:

-الألم؟!!! إن الألم هو علامة وجودى..، إن ما بقى لى هو الألم، ولكنه ألم من نوع خاص.. إنه مأساة الحياة، إنه ثمن الخداع.. أريد أن أسير فى الشوارع أنادى الناس أن يصحُوا قبل فوات الأوان.. أن يراجعوا الطريق.. أن يرفعوا العصابة، ولكن لابد أن أعرف أولا ماذا بعد رفع العصابة من على العيون، لابد أن أعرف بديلا، لا بد أن أعرف الطريق حتى تكون صيحتى نداء هادفاً، وليست صفعة حاقدة تعرِّى الحقيقة ثم... لا شئ.

= فأنت تبحث عن طريق آخر.

- ولكنى يائس من العثور عليه.

= لأنك وحدك.

- ولكنى حاولت أن أجد أحداً فوجدت حياتى ليس بها أحد، وجدت الناس أشياء أستعملها وتستعملنى كما ذكرت لك.

= ربما جئت هنا.. لنمضى معا.

- نعم...؟ نعم؟ ؟ معاً؟ هذه وظيفتك، تستمر مع أى أحد إلى أى مدى، ماذا ستخسر أنت؟ أنت هو أنت، تستمر مع من تشاء كما "أنت" ثم تخرج من صحبته "أنت" "أنت"، أما أنا... فلستُ شيئا، أنت تقول "معا"؟ أليس كذلك؟ سوف تجد بجوارك صفرا عظيما، ستجد نفسك تسير وحدك، لا تُضيّع وقتك يا دكتور وقل لى لافائدة.. ربما واتتنى الشجاعة وعملتها.

لابد أن أعرف أولا ماذا بعد رفع العصابة من على العيون، لابد أن أعرف بديلا، لا بد أن أعرف الطريق حتى تكون صيحتى نداء هادفاً، وليست صفعة حاقدة تعرِّى الحقيقة

حاولت أن أجد أحداً فوجدت حياتى ليس بها أحد، وجدت الناس أشياء أستعملها وتستعملنى

= ولكن، ربما هناك فائدة... أية فائدة .

– فائدة لك.. لقد قلت لك إن هذه هى وظيفتك، أكل عيشك.. ومع ذلك فأنت هو أنت. وأنا لا شىء، أليست هذه هى الحقيقة.

= أنا لست "أنا" إلا بك، بصحبتك على الطريق.

– أى طريق؟

= طريق أن ترى نفسك كما تستحق... كما أنت أهل له.

– أنا أهل لماذا؟ ماذا أريد؟ لقد تصورت أنى أريد الاحترام، وهأنذا حصلت عليه.. فماذا كانت النتيجة؟

= ولكنك تتحدث عن تجربة، وعن زيف، وعن رغبة فى أن تجنِّب غيرك هذا الزيف، لو عرفت البديل.

– لو عرفت البديل!

= فأنت تفكر فى الآخرين فى قمة أزمتك.

– ولكن الآخرين هم الذين ضيَّعونى، لأنى حسبت حسابهم أكثر مما حسبت حساب نفسى.

= ولكنك الآن تفكر بطريقة أخرى، تريد أن "تعطِى" تجربة، لا أن "تأخذ" احتراما.

– صحيح.. ولكن لابد أن تكتمل التجربة.. أولا.

= ولذلك أنت هنا.

– لا.. أنا لست هنا لذلك، أنا جئت هنا لأحرق هذه الورقة الأخيرة، ثم أجد مبرراً للاستمرار فى السخط والتحطيم، ولكن.. لكن يبدو أنه مازال هناك باب لم أطرقه.

= هو باب إنسانيتك.

– إنسانيتى؟!! ماذا تعنى؟!!! هل هناك عقار اسمه "إنسانيتكُو"؟ أنا بدأت بالبحث عن الاحترام فهل كان علىّ أن أبحث عن إنسانيتى؟ إنسانيتى تعنى ماذا؟

الآخرين هم الذين ضيَّعونى، لأنى حسبت حسابهم أكثر مما حسبت حساب نفسى

إنسانيتى؟!! ماذا تعنى؟!!! هل هناك عقار اسمه "إنسانيتكُو"؟ أنا بدأت بالبحث عن الاحترام فهل كان علىّ أن أبحث عن إنسانيتى؟ إنسانيتى تعنى ماذا؟

= أنت لم تبدأ بالبحث عن الاحترام، هم الذين وضعوك فى أول الطريق، فسرت.

– وهل كان ممكنا ألا أسير؟

= كان صعبا جدا..، ولكن الممكن الآن أن تُجَنِّب غيرك هذه المسيرة..

–ما لى أنا وغيرى الآن؟

=أنت بغيرك وغيرك بك.

–لستُ فاهما.

= إنما يكون الإنسان إنسانا إذا مارس إنسانيته مع إنسان آخر.

إنما يكون الإنسان إنسانا إذا مارس إنسانيته مع إنسان آخر

– ما أسهل ذلك، .... و..... وأصعبه!!.

= وما ألزم ذلك، و...وأوجبه.

– الكلام سهل، لا تخدعنى من فضلك.

= حين يزداد عدد "الناس الناس"، ويقل عدد "الناس الأشياء"، سوف تزيد الفرص للجميع.

حين يزداد عدد "الناس الناس"، ويقل عدد "الناس الأشياء"، سوف تزيد الفرص للجميع

– نعم؟! نعم؟! تلوّح لى بما أتجنب تصديقه.

= لسنا فى عجلة، ونحن معا.

– وهل تصبر علىّ؟

= وهل تصبر أنت علىّ؟

****

قال الفتى للحكيم:

– ولكن كل هذا الألم.. كل هذا الألم ، هل تتركه يعانيه حتى يعثر على الناس الناس؟.

قال الحكيم:

= لقد استعان العلم على مثل هذا الألم بالكيمياء والطبيعة، ولكن هذا ينبغى ألا ينسينا حقيقة المأساة الانسانية، علينا ألا نرضى بتخفيف الألم على طول الخط، بديلا عن اليقظة الشاملة.. لتحقيق الانسان الإنسان.

قال الفتى:

– ولكن ما هى ماهية هذه الإنسانية التى وعدتَ بها المحترم؟ إني أخشى، أن يكون الأمر كلاما، أو أوهاما.

قال الحكيم:

= إن خوفك له ما يبرره، فالسعى وراء "ألفاظ" عامة، لا يقل خطره عن السعى وراء قيم زائفة، ولفظ "الإنسان" إن لم تتحدد أبعاده على أرض الواقع... أصبح هو الآخر وهمًا كما تقول.

قال الفتى:

– وهل يمكن تحديد أبعاده؟

قال الحكيم:

=لكى يكون الإنسان إنسانا لابد أن يكون وحدة قائمة، تأخذ وتعطى بلا خوف ولا قهر، حتى يحس بحرية الاختيار النابع من كونه هو: ذاته، معهم، إليه.

قال الفتى:

– ولكننا نخرج من تعميم إلى تعميم، فما أكثر الوهم الذى أحيطت به هذه الألفاظ وأولها.. الاختيار والحرية.

قال الحكيم:

=وكأنى بك أصبحت الحكيم الحذر المراوغ، ولستَ الفتى طالب المعرفة

.....

وبعد

هذا بعض ما كان منذ نصف قرن،

وقد كنت قد وعدت أن أقتطف من العمل التالى الذى أعده أيضا للطباعة الورقية) ملحمة الرحيل والعود"، (بعد أن وجدت أن به ما يتكامل مع هذا العمل الأقدم برغم أن بينهم أربعين عاما، لكننى أجلت ذلك حين وجدت الأقدم أسهل واكثر مباشرة؟

علينا ألا نرضى بتخفيف الألم على طول الخط، بديلا عن اليقظة الشاملة.. لتحقيق الانسان الإنسان.

لكى يكون الإنسان إنسانا لابد أن يكون وحدة قائمة، تأخذ وتعطى بلا خوف ولا قهر، حتى يحس بحرية الاختيار النابع من كونه هو: ذاته، معهم، إليه

ذلك أننى اكتشفت فى هذا العمل الأحدث عمقا قد لا يلتقطه إلا من توكل عليه، وشحذ وعيه إليه، وجاءه يسعى، وهو يخشى

ذلك أننى اكتشفت فى هذا العمل الأحدث عمقا قد لا يلتقطه إلا من توكل عليه، وشحذ وعيه إليه، وجاءه يسعى، وهو يخشى.

.....

مللت من تكرار الاعتذار، ولا بد أنكم مثلى

ومن تكرار الخجل من الاعتذار

فعذرا!!

السبـــت 20-05-2017

العدد: 3549 – مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :من كتابه "عندما يتعرى الإنسان"
من حكاية "فى القفص"

أن هذا الطب الإيقاعحيوى التطورى قديم وراسخ، وأيضا أن تقديمه بهذه الطريقة الأبسط قد يكون أكثر فائدة للشخص العادى، ولمن شاء من أطباء النفس خاصة والنفسيين عامة

مقدمة:

ما زلنا كما نكشف تواعدنا نلتقى حول هذا العمل الباكر – عندما يتعرى الإنسان – لنؤكد أن هذا الطب الإيقاعحيوى التطورى قديم وراسخ، وأيضا أن تقديمه بهذه الطريقة الأبسط قد يكون أكثر فائدة للشخص العادى، ولمن شاء من أطباء النفس خاصة والنفسيين عامة.

مقتطف اليوم من حكاية "فى القفص" وبه جرعة زائدة (أو مناسبة) من نقد مزاعم الحرية وإشارة غير مباشرة تدعم فرض اختيار الجنون، الذى يعريه المقتطف بإثبات العكس، وهو "العجز عن اختيار الجنون."

المقتطف(_:من فصل: "فى القفص)

قال الحكيم:(للفتى) (قبل الحكاية)

= حين تهتز القيم، وتصبح مواصلة الحياة عملية صعبة بل خطيرة، تحمل من التهديد أكثر مما تحقق من الراحة والارتواء، تتراءى للإنسان مسارب الهرب فى الجنون، لكنى قابلت بعض الأصدقاء المرضى الذين حاولوا أن يختاروا طريق

الجنون فلم يستطيعوا إليه سبيلا.. وكأنه هدف بعيد المنال، وقد تعجب لقصة ذلك "السارق" الذى فضّل دخول "سجن مصر" بعد أن عجز عن دخول خبرة الجنون.

.....
.....

قال الفتى:

–وكيف كان ذلك

قال الحكيم:

=دخل علىّ قصير الخطى مُحدَّد القسمات ثابت النظرات يضغط على أسنانه فتظهر عضلات فكه تحت جلد صدغيه فى انتظام رتيب... كان أقرب إلى القِصَر مليء الجسم عضليّ التكوين، جلس دون أن ينطق، وكأنه ما جاء إلا ليجلس، ومرَّ الوقت ببطء ثقيل قبل أن يقول:

الطبيب:

–ماذا تنتظر؟

الطبيب:

=أنتظرك.

– ولكنى هنا منذ فترة

= ليس تماما.

– هل تشككنى فى نفسى؟... أنت أيضا؟... ألستَ وكيل نيابة آخر بدرجة طبيب... سوف أضحك ما شاء لى الضحك.. إفتح محضرك الطبّى لتستكمل الصورة أبعادها.. افتح المحضر من فضلك.

= أى محضر؟

– أليست تهمة جديدة.. تضاف إلى صحيفة سوابقى... أليست أمراضكم هذه تهمة... بل هى أشنع من السرقة والتهديد التى أحاكَمُ من أجلها... المرض

حين تهتز القيم، وتصبح مواصلة الحياة عملية صعبة بل خطيرة، تحمل من التهديد أكثر مما تحقق من الراحة والارتواء، تتراءى للإنسان مساربه الهرب فى الجنون

ضعف وأنا لست ضعيفاً.. أنا قوى، أنا لص، أسرق فى وضح النهار وبالإكراه، لست ضعيفا ولست مريضا مهما قلتم.. هذا المحامى المعتوه الذى عينته الحكومة هو الذى أصر على استشارتك... وهأنذا، لن تعرف منى شيئا... فأنا لست مريضا، لست ضعيفا ولن أكون، ولم أكن كذلك أبداً، هيَّا افتح المحضر.. ولا تضِع وقتى فكم سأتمتع بحوارك، ولن تُدخلنى أبدا هذا السجن الجديد سجن الضعف والشفقة، لن أعترف بالمرض أبدا، بل لن أمرض أبداً، وعلى كل حال ليس لازما أن أعترف حتى أدخل السجن... هذه كذبة قديمة... ليس هناك علاقة بين السجن والجريمة، ولا بين الاعتراف والعقوبة، هذه أشياء وضعتموها لتبرروا بها ما تفعلون دون اقتناع، تبررون بها هذه القضبان وهذا الظلام وهذا البرد..

= أى برد تعنى؟

– برد الوحدة والقسوة.. فى زنزانة إنسان جف وسط مجتمع لا يفهم، لا تنتظر منى شيئا، لن أتكلم... لن أعترف بهذه التهمة الجديدة، سوف أخرج من هنا لأقول إنك مثلهم تماماً ألست منهم، واحداً منهم.

= ممن؟

– من وكلاء النيابة والمحامين والآباء المحترمين.

= نعم.. تقريبا.. ولكن..

– اتفقنا، هكذا أستطيع أن أستريح، لقد جئتُ نتيجة لتصميم ذلك المحامى الأبله، وتحققتُ مما ظننت، وجدتُ أنك منهم لا أكثر ولا أقل، وعليه فلن أمكنك من بقية نفسى، لن يبقى لى إلا هذه الأسرار التى أجترها فى خيالى لأشعر بخصوصيتى، لأشعر بأنى أعرف شيئا لا يعرفه أحد، لأشعر بأنى أتمتع بحرية التفكير فى السر، ولكن هل هذه حرية تلك التى تُمارَسُ فى السر؟... قل لى بربك هل يمكن أن تمارس الحرية سراً.

أريد أن أتحرر من هذا الجسد دون أن أموت، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أودع جسدى داخل سجن حقيقى من أربعة جدران، وأطلق نفسى حرة وراء الأسوار

إنى لا أمارس حريتى بالخارج لذلك لجأت إلى السجن لعلى أمارسها فى الداخل

= لا أظن.

– ومع ذلك لن أطلعك على سرى، بل لعلى أخدعك إذا قلت لك إن عندى أسرارا، بل إن حيرتك تعجبنى، هل عندى أسرار أم لا؟ عندى؟ ليس عندى؟ لابد أننى عندى؟ لا ليس عندى؟ إنك تظن أنه عندى؟ وربما ليس عندى؟ ما أحلى حيرتك فى نظرى، هكذا أتنفس أعمق، أنا الآن الذى أسأل وعليك أنت أن تجيب، أنا الذى أمتلك زمام الموقف... أنا الآن حر... مسيطر... قوى، هيّا: بماذا تجيب؟ هل عندى أسرار حقيقية أم لا؟

= لا يوجد إنسان بلا أسرار.

– ولكنى اعترفت بالجريمة وكنت أستطيع أن أحتفظ بها سرا ولكن هل تعلم لماذا لا يوجد إنسان بلا أسرار.

= لماذا؟

– لأن الناس لا يؤتمنون على الأسرار، ولو كان الناس شرفاء لما احتفظ أحد بسر يضنيه أو يضلله، ولعاش كل الناس فى النور وعشت أنا حرا لا يعوق حركتى أحد ولا شىء.

= وما الذى يعوِّق حركتك؟

– الناس... البوليس... المخبرون.. الحكومة.. المبادئ. الحق.. الواجب... أنت وأنا.. أنا أعوق حرية نفسى... إن نفسى سجينة داخل جسمى. أريد أن أتحرر من هذا الجسد دون أن أموت، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أودع جسدى داخل سجن حقيقى من أربعة جدران، وأطلق نفسى حرة وراء الأسوار، هذه الطريقة العجيبة من اختراعى وحدى: لكى تكون حرا يستحسن أن تدخل السجن، ربما هذا المنطق هو الذى دعا محامىّ أن يرسلنى إليك، لم يفهمنى ولم يفهم تمسكى بدخولى السجن وطلبى أقصى أنواع العقوبة.. إنى لا أمارس حريتى بالخارج لذلك لجأت إلى السجن لعلى أمارسها فى الداخل، ولذلك تعجب القاضى وتعجب المحامى وحولونى إليك.

إن كل إنسان يعيش داخل قفص وجد نفسه فيه، وراء قضبان يعتقد أنها تحميه... وهى فى الحقيقة تمنعه وتقيده وتعوقه، ثم هو يمارس حريته المزعومة داخل هذه القضبان التى تعود عليها حتى لا يكاد يراها

= ولكن من الذى يمنعك من ممارسة حريتك؟

– ما الذى يمنعنى!! ولكن ما الذى يمنعك أنت؟ هل تمارس أنت حريتك؟ هل يمارس أحد حريته، إن كل إنسان يعيش داخل قفص وجد نفسه فيه، وراء قضبان يعتقد أنها تحميه... وهى فى الحقيقة تمنعه وتقيده وتعوقه، ثم هو يمارس حريته المزعومة داخل هذه القضبان التى تعود عليها حتى لا يكاد يراها... والفرق بينك وبينى أنى رأيت القضبان، ورفضت خداعها وقررت ألا أعيش فى هذا الوهم... وهم الحرية والاختيار... ثم قررت أن أجسِّد هذه القضبان من حولى، فلأقلبها إلى قضبان مادية ملموسة، وبذلك أكون أكثر شجاعة... وأطلق نفسى خارجها. وأثبت أنى أبعد نظرا من كثيرين.

= أحيانا يقوم وهم الاختيار بوظيفة الاختيار ذاتها.

– أى اختيار وأية وظيفة.. إنك تستطيع أن تختار السير داخل القضبان... أو الجرى داخلها.، تستطيع أن تختار أن تطليها باللون الأخضر أو باللون الأحمر، أما أن تختار أن تخرج منها فهذه هى المصيبة الكبرى، يسميها البوليس مؤامرة، ويسميها الجيش خيانة، ويسميها الحزب انحرافا، ويسميها القاضى جريمة، وتسميها أنت جنونا، لقد مارستُ كل هذا وأنا أحاول أن أخرج منها، ويبدو أنى سأمارس النوع الأخير معك فى هذا القفص الجديد...، إلا أنى بدأت أتمتع بهذا القفص لأن الحارس لا يُكثر من الأسئلة، أنت وكيل نيابة فاشل... ليس عندك "سين".. ولا "جيم"، ولكن ربما هذه طريقه جديدة للاستجواب... للحصول على الاعتراف بغير جهد كبير... لكنك لا تستطيع أى شىء إزاء إنسان اختار تحقيق حريته بأن يكون سجينا.

= عندك حق، أنا لا أستطيع إلا بك... ومن خلالك.

– ماذا تريد منى أنت... ما هى تهمتى التى أتت بى إلى هنا؟ إن كان على السرقة فقد سرقت وهددت، وطلبت دخول السجن بنفسى، وهذا هو ما لم يعجب

الحرية هى القدرة على الفعل.. هى القوة ... هى السيطرة ولكن حتى السيطرة لن تحقق لى شيئا، فقد كنت أستطيع أشياء كثيرة، ولكنى كنت مقيداً بأشياء أكثر

المحامى ولا القاضى ولا أحدا، هذا المحامى الذى عيَّنته الحكومة ضد إرادتى، يريد إثبات أنى غير مكتمل العقل، إنه لا يتصور أن إنساناً يفضل قضبانا حديدية محددة المعالم على حواجز وهمية تحطم ذاته، أنت لا تستطيع فعل شيءٍ ولو كنت تستطيع لكنت فعلت، هكذا كل الناس، الذى يستطيع يفعل والذى لا يستطيع يبحث عن مبررات،

الحرية هى القدرة على الفعل.. هى القوة ... هى السيطرة ولكن حتى السيطرة لن تحقق لى شيئا، فقد كنت أستطيع أشياء كثيرة، ولكنى كنت مقيداً بأشياء أكثر، هل تريد أن تعرف كيف؟ هل تحب أن تسمع أكثر.

وبعد

...نكمل غدًا

الأحـــد 2017-05-21

العدد: 3550 – مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :من كتاب "عندما يتعرى الإنسان"
من حكاية "فى القفص (2)"

أريد أن أعرف من أنا؟.. كيف أنا؟ لماذا أنا؟.. كم أنا؟.. أريد أن أعرف نفسى بكل أبعادها، فكيف نعرف "سويا" أشياء مختلفة أشد الاختلاف

أنا لا أريد شيئا ولا أستطيع شيئا، أنا لست أى شىء حتى يهمنى أو لا يهمنى، حتى تهتم لابد أن "تكون" وأنا لا شئ

مقدمة:

عرضنا أمس مقتطف مبدئى من هذه الحكاية، انتهى بكشف موقف المتهم الذى يفضل أن يدخل السجن الرسمى وراء القضبان هربا من السجن الاغترابى خارجه رافضاً سجنه وراء لافتة الجنون حتى لو كان هذا الأخير سوف يعفيه من مسئولية ما ارتكب.

ونكمل اليوم

المقتطف(ـ:من فصل: "فى القفص)

(المتهم يواصل حواره مع (هجومه على) الطبيب:

.....

المريض:

–هل تريد أن تسمع أكثر

الطبيب:

= أحب أن أسمع كل ما تريد أن تقوله.

– ولكنى لا أعرف ما أريد أن أقوله، هل تعرف أنت؟ ربما أخطأ هذا المحامى الأبله العنوان، وكان ينبغى عليه أن يحولنى إلى ضاربة للودع أو قارئة

للكف، لماذا لا تستعين بهؤلاء الزملاء يادكتور، لماذا لا تخصص هذه الحجرة المجاورة لهؤلاء المختصين الأذكى ربما أفادونى أكثر وأرشدونى إلى ما أريد، ربما كان ذلك أجدى من جلوسك هكذا بالساعات تحاول أن تفهم ما لا تعرف، لأنه إذا كنت أنا نفسى لا أعرف، فمن أين لك أن تعرف أنت.

= نعرف سوياً.

– ولماذا تعرف أنت؟ إن ما أريد أن أعرفه غير ما تريد أن تعرفه أنت، أنت تريد أن تعرف إن كنتُ مجنونا أم عاقلا، إن كنت مسئولا أم معتوهاً، أما أنا فأريد أن أعرف أشياء أخرى، أريد أن أعرف من أنا؟.. كيف أنا؟ لماذا أنا؟.. كم أنا؟.. أريد أن أعرف نفسى بكل أبعادها، فكيف نعرف "سويا" أشياء مختلفة أشد الاختلاف.

= ولكنا نلتقى بشكل ما، فكل ما يهمك يهمنى.

– أنا؟.. يهمني؟...أنا لا يهمنى شىء البتة، أى شىء يمكن أن يهمني؟... أنا لا أريد شيئا ولا أستطيع شيئا، أنا لست أى شىء حتى يهمنى أو لا يهمنى، حتى تهتم لابد أن "تكون" وأنا لا شئ، ماذا عندك، هل عندك جديد.

=ربما وجدنا شيئا.

– أى شىء تتصورونه أنت أو المحامى أو غيركما، هل قضبان القفص عندك من ذهب بدلا من الحديد الصدئ، هل مستشفى الأمراض العقلية أرحم من سجن مصر؟ أنا خبُرت كل الطرق ولم يعد هناك شىء أنتظره، لأنه لم يكن هناك أحد ينتظرنى.. أبداً، لماذا تحاول استدراجى وأنا لا أثق فيك، إن وسائل التفاهم بيننا مقطوعة من قبل أن أجيئك، أنا أعيش فى سجن الحذر والتوجس ولهذا فضلت "سجن مصر".. إن تجسيد الأمور فى صورة حقيقية ملموسة أسهل على النفس وأقرب إلى الواقع... يعنى أقرب إلى الصحة، أليست الصحة فى نظركم هى احترام الواقع... إذن فأنا احترم الواقع... لقد عشت سجينا بكل معنى الكلمة، وقد قررت احترام الواقع؟ لهذا أنا دبرت أمورى حتى أدخل السجن الحقيقى

إن تجسيد الأمور فى صورة حقيقية ملموسة أسهل على النفس وأقرب إلى الواقع... يعنى أقرب إلى الصحة.

إن تكسير الحواجز الاجتماعية أسهل من أن تكسر ذاتك وأنت تحاول إثباتها..؟

حيث أستطيع أن أمسك بالقضبان بين يدىّ بدلا من أن أتحدث عن قضبان وهمية تنتهى بى إلى حضرتك يا سيادة الطبيب النفسى.. بل دعنى أقول لك الحقيقة: لقد هربت، لقد اخترت الطريق الآخر، اخترت أن أكون مجرماً هرباً منك، من أن أكون مجنونا، أليس ذلك أسهل على النفس؟ إن تكسير الحواجز الاجتماعية أسهل من أن تكسر ذاتك وأنت تحاول إثباتها..؟ ولكن ما باليد حيلة... هربتُ إلى السجن لأقع فى قبضتك أخيرا. كان ينبغى أن أخدع وكيل النيابة أكثر، فحين قلت له أنا هارب "إلى" السجن، صحح قولى، حسب أنى أعنى الهرب "من" السجن، وحين أكدت له أنى لم أخطيء وأنى هارب "إلى" السجن فعلا، لم يفهم أننى أعنى أن سجن مصر أرحم من السجن الكبير الذى نعيش فيه جميعا، أرحم من القيد الذى كبَّلونى به صغيرا...، ونظر إلىَّ المحامى– محامى الحكومة، – هى التى عينته لى – وبرغم ذلك راح يحاول الحصول لى على البراءة، ولكن الثمن غال، البراءة مقابل أن يلصق بى تهمة المرض، أيهما أفضل يادكتور أن تكون لصا أم أن تكون مجنونا.. ماذا تفضل أنت؟... لا ترد! وبعد ذلك تقول لى... لابد أن أثق فيك. حتى تساعدنى، تساعدنى فى ماذا؟.. أثق بمن؟...ولماذا؟ هل تعرف ثمن الثقة يادكتور؟ هل تعرف ماذا يحدث حين تثق بأحد الناس ثم يخيب ظنك؟ ثم يتخلى عنك؟ هل تعرف أن الثقة هى أغلى ما فى الوجود؟ وأخطره فى ذات الوقت؟ ماذا عندك يدعونى للثقة بك.

= ربما لأنه ليس عندى شىء معين.. أو فكرة مسبقة.. أستحق ثقتك، ربما لأنه ليس معلقا وراء رأسى ميزان العدالة، تستطيع أن تشعر أن الميزان بيدك أنت، وأن ما حدث هو نوع من اضطراب التوازن... ربما تكون المشكلة فى أن تجد أحدا... يسمع... حتى تعيد أنت وزن الأمور، تعيد رؤية الأشياء من زاوية أخرى، حتى بقصد تقويم ذاتك.

– ربما.. ربما.. كل شىء جائز... حتى ما فعلتُه أنا هكذا يجوز أن يكون صواباً، ربما، ما دامت هناك "ربما" فليس هناك حقيقة ثابتة، إذن لماذا لا

حين أكدت له أنى لم أخطيء وأنى هارب "إلى" السجن فعلا، لم يفهم أننى أعنى أن سجن مصر أرحم من السجن الكبير الذى نعيش فيه جميعا، أرحم من القيد الذى كبَّلونى به صغيرا

أيهما أفضل يادكتور أن تكون لصا أم أن تكون مجنونا.. ماذا تفضل أنت؟...

تدعونى أدخل بنفسى حيثما أردت، حيثما وضعنى القانون... أو حيثما ينبغى أن يضعنى."ربما" يكون ذلك أفضل، لماذا يحاولون حرمانى من تحقيق أفكارى. "ربما" وجدت حماية فى الداخل أضمن وأوقع من حماية الخارج... ربما.

= ولكن هذا الذى تفعله لا يطمس عليك حقيقة أنك هارب، لقد اخترت الابتعاد عن العالم الخارجى والمسئولية وراء أسوار حقيقية... متصورا أنك بذلك تتحدى العالم... وفى الحقيقة أنت تهرب منه.

– ربما كنت أهرب... بل إنى فعلا أهرب، الناس "فى الخارج" صعب، حين تحتاجهم لا يعطونك، وحين يعطونك تكون قد استغنيت عنهم ولا يعود لعطائهم معنى ولا فائدة، الناس" فى الخارج" صعب، ولذلك فقد قررت أن أدخل برجلىّ إلى الداخل... داخل السجن، هل تعلم يا سيدى لماذا؟ برغم أنى لا أثق فيك ورغم أنك قد تعتبرنى مجنونا وتحاول تبرئتى بذلك إلا أنى ألاحظ أنك تحاول أن تفهم، هذه ميزة فى حد ذاتها: أن تحاول، لذلك سأقول لك.... ربما تفهم، ربما أجد فى النهاية من يفهم وحتى لو لم تفهم فإنى لا أهتم بك... ولماذا أهتم بك... إسمع... ولكن: هل تريدنى أن أقول فعلا؟

) وحين هممت بالرد عليه... أكمل دون أن ينتظر ما كنت سأقوله(

= .....

–ما أجمل أن تكون القضبان ملموسة... واقعاً محسوساً، بدلا من وهم الحرية فى الخارج، هذا تصرّف ربما تعتبرونه غريبا، ولكنه ليس جنونا على كل حال... فقد فشلت أن أجَنّ: هذه مأساتى.

= مأساتك أنك لم تجن؟!

– نعم أليس الجنون فى تعريفكم بعد عن الواقع وعدم احترامه؟ أليس هو تحطيم الأسوار العادية فى دنياكم التقليدية؟... أليس هو تغيير كامل فى الشخصية؟ لقد فشلت فى كل هذا، فأنا مازلت أحترم الواقع بدليل أنى لجأت إلى السرقة حتى أوضَع بحكم القانون فى السجن بعد أن فشلت فى الخروج عن الواقع

هل تعرف ثمن الثقة يادكتور؟ هل تعرف ماذا يحدث حين تثق بأحد الناس ثم يخيب ظنك؟ ثم يتخلى عنك؟ هل تعرف أن الثقة هى أغلى ما فى الوجود؟ وأخطره فى ذات الوقت؟

ما أجمل أن تكون القضبان ملموسة... واقعاً محسوساً، بدلا من وهم الحرية فى الخارج

بالجنون، بعد أن فشلت فى تغيير شخصيتى تغييرا جذريا يسمح لكم بلصق تهمة الجنون بى، هل تعلم ما الذى جعلنى أعدل عن قرار الجنون؟

= .....؟

– الشفقة.. وأسوار الألفاظ، لقد أبيت أن يشفق الناس علىّ، لقد أبيت – أو قل لم أستطع– أن أبدو ضعيفا أمام أحد، لم أرضَ أن أُسجن وراء تشخيص من تشخيصاتكم التى لا معنى لها... الجنون الحقيقى هو الحرية الكاملة، ولا توجد حرية كاملة حتى وراء أسوار مستشفى الأمراض العقلية، لذلك فقد رفضت الشفقة والضعف ووشم التشخيص الذى سوف تلصقونه بى، وفضّلت أن أكون مجرما بمحض إرادتى، فضلت تجسيم الواقع بالعيش وراء أسوار السجن على تزييف الحرية بتحطيم أسوار الواقع بالجنون، اكتشفت ببعد نظرى أن تشخيصاتكم ومستشفى الأمراض العقلية واقع أمرّ من واقع الحياة التى رفضتها، هل تذكر أنى قلت لك فى أول الحديث لقد اخترت أن أكون مجرما هربا منك... هرباً من أن أكون مجنونا؟ فى الحقيقة أنا لم أهرب من الجنون ذاته ولكنى لم أستطع أن أقبل الضعف ولا الشفقة، ولا الصورة التى ترسمونها فى أذهانكم للجنون، وجدت أن الجنون ذاته له أسوار، وأن مأساتى ستنقلب إلى ألفاظ لاتينية تتشدق بها أنت وزملاؤك، فرفضت كل ذلك، رفضت أن أصبح سجينك أنت بعد أن عشت سجين الناس والمجتمع، لذلك فأنا أنصحك لوجه الله أن توفر جهدك، فأنت تحاول أن تثبت ما لم أستطع أن أحققه، تحاول أن تثبت أنى غير مسئول، وأنا أحكى لك مسئوليتى كاملة، مسئوليتى عن الجريمة، عن الحياة، بل عن فشلى فى أن أجَنّ لأصبح كما يزعمون.

= أنا لا أحاول شيئا الآن... لابد أن تدرك أنى أحاول مساعدتك ليس إلا، أحاول أن نناقش اختيارك الجديد، هل سيفي بغرضك أم لا؟ وأنا أطرح سؤالا عليك: هل اختيارك هذا حل لمشكلة وجودك؟

أليس الجنون فى تعريفكم بعد عن الواقع وعدم احترامه؟ أليس هو تحطيم الأسوار العادية فى دنياكم التقليدية؟... أليس هو تغيير كامل فى الشخصية؟

الجنون الحقيقى هو الحرية الكاملة، ولا توجد حرية كاملة حتى وراء أسوار مستشفى الأمراض العقلية، لذلك فقد رفضت الشفقة والضعف ووشم التشخيص الذى سوف تلصقونه بى، وفضّلت أن أكون مجرما بمحض إرادتى، فضلت تجسيم الواقع بالعيش وراء أسوار السجن على تزييف الحرية بتحطيم أسوار الواقع بالجنون

هل تذكر أنى قلت لك فى أول الحديث لقد اخترت أن أكون مجرما هربا منك... هرباً من أن أكون مجنونا؟

هل السجن الحديدى أفضل من السجن النفسى؟ لم أعد أدرى، هذه هى مشكلتى فعلا، أريد أن أختار "أنا" بنفسى، وهذا ما لم أحققه أبدا رغم أنى قضيت حياتى كلها أصارع من أجله

– اختيارى؟ وجودى؟ هل أنا اخترت اصلا؟، وهل يمكن أن أختار؟ يبدو ذلك ممكنا فى الظاهر، ولكن عندك حق... أين وضعنى اختيارى هذا؟ هل السجن الحديدى أفضل من السجن النفسى؟ لم أعد أدرى، هذه هى مشكلتى فعلا، أريد أن أختار "أنا" بنفسى، وهذا ما لم أحققه أبدا رغم أنى قضيت حياتى كلها أصارع من أجله.

وبعد

غدًا آخر مقتطف من نفس الحكاية

أما الحكاية كلها فيمكن الرجوع إليها فى العمل الذى عمره خمسون عاما.

الاثنيـــن 2017-05-22

العدد: 3551 – مقتطفات: إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :من كتابه "عندما يتعرى الإنسان"
من حكاية "فى القفص (3)"

لكن لابد أن تعيش مأساتى حتى تشعر أن هذا هو الموضوع

مقدمة:

ما زلت انتهزها فرصة لتوفير الوقت لحمل الأمانة الأخرى لأصحابها، وفى نفس الوقت تأصيل فكر الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى، باقتطاف ما يدعمه مما نشرت عنه قبل تسميته كذلك منذ نصف قرن.

ونواصل اليوم الاقتطاف من نفس الحكاية "فى القفص" لنعرض قوة منطق وشجاعة من يسمى المريض، وصلابة موقف وصبر من هو الطبيب (الحكيم.(المقتطف)_:من فصل: "فى القفص)

وهو استمرار للحوار كما يحكيه الحكيم (الطبيب) للفتى عن هذه الحالة كالتالى:

قلت:

وحين فعلت ما فعلت ماذا أحسستَ لحظتها؟

قال:

لحظتها؟ لحظتها؟ كانت سيدة عجوز لم أحاول إيذاءها ولكنى تعمدت أن آخذ

الحلى أمامها، بل أقول لك الحقيقة، لقد أرغمْتُهَا أن تناولها لى بيدها من داخل الصوان، لماذا لم آخذها أنا بنفسى، لا أدرى، ولكنى ساعتها كنت أريد أن تعطينى هى أغلى ما لديها، أن تعطينى جزءاً من نفسها وبالإكراه، أنت تعلم كيف تكون الحلى قريبة إلى نفس عجوز، وحيدة، إنها تصبح جزءاً منها، وقد أخذت هذا الجزء، بل لِلدّقة لقد اضطررتها أن تعطينيه، ولكنى حين استوليت عليه وخرجتُ، لم أحاول أن أبيعه... فقد العمل كله معناه، لم يعد له قيمة، شعرت أنى احمل ثقلا من النحاس والزجاج، وذهبت إلى اقرب قسم بوليس، وأبلغت عن نفسى وانا ممتليء بشعور التفاهه: ما فائدة أن أرغم امراة عجوزاً وحيدة أن تمنحنى جزءًا منها؟ لماذا؟، ما فائدة كل هذا، ما فائدة ان ترغم أحدا أن يعطيك؟ العطاء لا يكون عطاء إلا إذا خرج من نفس إنسان لآخر تلقائيا، برضى، باختيار، بحب، نعم بحب... هذا هو الموضوع.

قلت:

نعم... هذا هو الموضوع "العطاء... والأخذ... بحب".

وسكت قليلا وتغيرت نظرته وأخذ يتأمل وجهى مليا ثم قال:

قال:

ولكن كيف عرفتَ أن "هذا هو الموضوع؟"

قلت:

لأن هذا فعلاهو الموضوع... ليست السرقة ولا التهمة، ولا الجنون ولا شيء يهم سوى هذا الموضوع.

قال:

نعم.. ولكن لابد أن تعيش مأساتى حتى تشعر أن هذا هو الموضوع.

قلت:

أو أن أعيش مشاعرك وأنت معى... أن أنبض مع ألفاظك.. أن أصدّقك، هذا هو الطريق إلى فهم مأساتك.

أو أن أعيش مشاعرك وأنت معى... أن أنبض مع ألفاظك.. أن أصدّقك، هذا هو الطريق إلى فهم مأساتك

هى مأساة إنسان أحاول أن أعيشها معه ولو لحظات.. لأشعر بخفق مشاعره فأفهم. فأحس... فأحب. فأساعد، فيتقبل.. إن استطعنا

قال:

إذن هى ليست مناقشة عقلية أو تمرين هندسة تحاول أن تحله لتأخذ عشرة على عشرة.

قلت:

بل هى مأساة إنسان أحاول أن أعيشها معه ولو لحظات.. لأشعر بخفق مشاعره فأفهم. فأحس... فأحب. فأساعد، فيتقبل.. إن استطعنا.

قال:

وهل نستطيع؟

قلت:

نحاول.

قال:

ولكن إذا كانت والدتى التى أنجبتنى لم تستطع.. فكيف تستطيع أنت.

قلت:

والدتك لم تقصد.

قال:

ولكن الأطفال حين يقذفون الضفادع بالحجارة لا يقصدون قتلها، وحين تموت الضفادع تموت جِدًّا لا هَزْلاً، أليس هذا مثلٌ صينىٌ على ما أذكر؟

قلت:

هو كذلك... ولكنا نعيش لحظة "الآن" و"أنت".

قال:

فهل تعيشها معى، وهل تستطيع.

قلت:

ما رأيك؟

الأطفال حين يقذفون الضفادع بالحجارة لا يقصدون قتلها، وحين تموت الضفادع تموت جِدًّا لا هَزْلاً

قال:

أراك تحاول.

قلت:

فهل نتفاهم؟

قال:

ربما... ولكن...

قلت:

ولكن ماذا؟

قال:

– أنا بردان.

) وأكمل(:

قال:

اريد الدفء... لقد ولدت فى شهر ديسمبر وما زالت الحياة كلها ليلا طويلا باردا... انا ارتجف احيانا واحس بالبرد فى عز الصيف، الستَ طبيباً مثل الأطباء؟. ربما كان عندى "ملاريا" وهى أسهل فى التشخيص مما تحاولون إثباته، عينة من الدم... شريحة من الزجاج و"ميكروسكوب" وسلامتك وتعيش، أما ما تفعله أنت... كان الله فى عونك، ولكن قل لى يا دكتور: ما الذى دفعك لاختيار هذه المهنة؟.. هل تتمتع بالفرجة على مأساة البشرية، وإلا فلماذا أنت تتعب كل هذا التعب؟ وانت تستطيع ان تكسب أضعافا مضاعفة من مهنتك الأصلية.

قلت:

ولكن هذه هى مهنتى الأصلية.

قال:

ماذا؟!!

حين يفتقر الناس لإنسان يفهم... من خلال مشاركتهم مأساتهم... لا لمجرد أنه يحفظ الكتب، تصبح للأسف صفة الإنسان مهنة

قلت:

أن اكون إنسانا بالقرب من إنسان يحتاجنى.

قال:

طبيب يترك مهنة الطب ليكون إنسانا.. هل هذه وظيفة؟

قلت:

حين يفتقر الناس لإنسان يفهم... من خلال مشاركتهم مأساتهم... لا لمجرد أنه يحفظ الكتب، تصبح للأسف صفة الإنسان مهنة.

قال:

ما أعجب كل هذا... ومن هو الإنسان.

قلت:

هو الشخص الذى يستطيع أن يمنح الحب الدائم الدافئ... ويستقبل المشاعر بصدق وأمانة حتى يذوب الجليد الذى نعيش فيه، برغم كل شىء.

الإنسان هو الشخص الذى يستطيع أن يمنح الحب الدائم الدافئ... ويستقبل المشاعر بصدق وأمانة حتى يذوب الجليد الذى نعيش فيه، برغم كل شىء

قال:

وهل يذوب؟

قلت:

لا بديل لذلك.

قال:

وبعد أن يذوب... ماذا أفعل بالخوف من الناس لو تكررت المأساة: حين أحتاجهم لا أجدهم، وحين استغنى عنهم بالبرود العاطفى، لا أجد لأى شىء معنى ولا جدوى، حتى إذا عادوا فأعطونى، يكون قد فات الأوان، وأرجع إلى بلادتى.

قلت:

إذا ذاب الجليد فعلا... دبت فيك الحياة... وأصبحت أنت مصدرا للحرارة... والحرارة ستذيب الجليد الذى يفصلك عن الآخرين حتى ولو كان يحيط بهم هم، لأنك تستطيع أن تمنح الحب فى قوة وثقة وأمان، ولن تنتظر الكثير بل أنت ستتأكد من الاستجابة المخلصة مهما طال الزمن.

قال:

لا تعدُنى بما لا يكون، بما لن يكون.

قلت:

ولكنك تشعر الآن بشىء جديد.

قال:

قد تستطيع أن تحكم على نفسك، ولكن الناس شىء آخر.

قلت:

أنا من الناس.

قال:

ولكنك تمتهن مهنة "إنسان" ربما أثناء تواجدك فى العيادة، وربما تعود بعد ذلك مثل الناس.

قلت:

ولكنى مثل الناس فعلا... كل ما فى الأمر أن قسوة الحياة جعلتك لا ترى فى الناس إلا الشر والخيانة.

قال:

ولكنهم كذلك.

قلت:

ليس تماما.

قال:

كيف؟

قلت:

حين تحب... تمنح دون حساب ودون رجاء... وحين لا تنتظر الكثير... يتجمع القليل ليصبح كثيرا، الناس جميعا رغم قسوتهم الظاهرة "مساكين" لا يدركون ما يفعلون ببعضهم البعض، وفى نفس الوقت لا يكفون عن أن يعطوا بعضهم بعضا حتى وهم لا يقصدون.

إذا ذاب الجليد فعلا... دبت فيك الحياة... وأصبحت أنت مصدرا للحرارة... والحرارة ستذيب الجليد الذى يفصلك عن الآخرين حتى ولو كان يحيط بهم هم، لأنك تستطيع أن تمنح الحب فى قوة وثقة وأمان، ولن تنتظر الكثير بل أنت ستتأكد من الاستجابة المخلصة مهما طال الزمن

قال:

أنت بتصورك هذا أجنّ منى، لعلك تتصور أنك أنت الذى سوف تصلح الكون؟

قلت:

بل أنت.

قال:

أنا؟

قلت:

نعم أنت... حين تحب وتعطى ستشعر بالقدرة التى لا حدود لها... وسيصبح لكل شىء معنى.

حين تحب وتعطى ستشعر بالقدرة التى لا حدود لها... وسيصبح لكل شىء معنى

قال:

كيف أعطى وأنا لم آخذ... وحين سرقت وسموها "سرقة" بالإكراه" كان الدافع أن أجعلها –هذه السيدة المسكينة تعطينى حليَّها... أنا أريد أن يعطونى، أريد أحدا يعطينى ذاتى.

قلت:

إن أحداً لن يعطيك ذاتك... إنك أنت الذى ستخلقها من جديد...

قال:

كيف؟

قلت:

لو استوعبنا معا ما تحسُّه الآن هنا... سوف ترى رؤية جديدة وتتعلم أشياء جديدة، ثم تمارس مشاعر جديدة... ثم تنطلق إلى رحاب الناس بما هم، كيف هم، فيصلك القليل كثيرا، فتجدك أنت الكسبان.

قال:

ما أبعد ذلك.

إن أحداً لن يعطيك ذاتك... إنك أنت الذى ستخلقها من جديد...

قلت:

وأروعه.

قال:

لعل... لعل للأمر وجه آخر

قلت:

دعنا نحاول.

****

قال الفتى للحكيم:

آه لو تم كل هذا، إذن لتغير وجه الحياة، ولكن حديثنا عن ذلك الفتى الهارب إلى السجن، الذى فشل فى أن يجن، لم يُنْسِنِى حديثنا الأول عن ذلك الفتى الثائر الذى آمن بكل شىء، بحثا عن الشىء الحقيقى، وحين لم يجده فقد نفسه... واضطربت عليه الأمور... فحدثنى عنه، فقد طال بى الشوق إليه.

السبـــت 2017-05-27

العدد: 3556 – إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،

منذ نصف قرن1968 : مقتطفات من كتاب "عندما يتعرى الإنسان"

من حكاية: "الشعلة والحريق"

لم يكن يقرأ الكلمات بل كان يعيشها، لم تكن الصفحات أمام عينيه مسطحة ملساء بل كانت دنيا زاخرة بالأشخاص، تنبض بالحياة

لم يفرق أبدا بين اللفظ والمعنى، كان اللفظ هو معناه فى نفس الوقت... بل هو حقيقته.. كانت الألفاظ حقائق قائمة تسير فى الحياة. بل هى الحياة

قال الحكيم:

=....هى حكاية ذلك الفتى الثائر هى حكاية هذا العصر، بل وكل عصر، وقد شغلنا الاستطراد فى حديث "القفص والسجن" عن صديقنا هذا الذى آمن حتى كفر، وعاش الكلمات التى قرأها بكل عمق وإحساس نقى، وحين أراد تحقيقها وجد كل شىء مختلفاً...، أراد أن يضيء فاحترق... أو كاد.

قال الفتى:

– وكيف كان ذلك؟

قال الحكيم:

= هو فتى من أرض هذا البلد الطيب، حمل فى نفسه تراث حضارة قديمة أصيلة، وفى جوفه طمى نيلها القوى الجبار، وانصهرت كل خلية من خلاياه بشمسها المشرقة الدافئة، وكان يؤلمه أشد الألم أن ينبض وجدانه بكل هذا الصدق والأمل، ثم هو لا يجد حوله إلا هذا التراخى والشلل، واتجه إلى الكتاب فعشق الكلمات من صغره، فمنذ العاشرة وهو يقرأ كل ما تقع عليه عيناه،

كان الإيمان عنده أمرا بديهياً لا يحتاج إلى منطق أو تفكير، فلأمر ما يدخل الإيمان هنا إلى القلوب مباشرة دون تفسير ودون جهد ودون مراجعة

كان نبض الدين فى عروق صاحبنا أصيل وعميق، ولكنه حين دخل حظيرة الدين دخلها فى صدر شبابه من باب جانبى، وإذا به فى متاهات وسراديب... وابتدأت تجربته

كفرت بكل ما يقال.. وكل ما كان.. وكل ما هو كائن، وكل ما سيكون، بكل ما كتبوه، وما لم يكتبوه، بكل شئ وكل أحد

بالذات كفرت بالإنسان... وبالذات كفرت بالغد.. لقد خُدعت بما فيه الكفاية، وما بقى منى هو العفن الطافى فوق الجسد المتآكل

آسف... لم يكن يقرأ الكلمات بل كان يعيشها، لم تكن الصفحات أمام عينيه مسطحة ملساء بل كانت دنيا زاخرة بالأشخاص، تنبض بالحياة، لم يفرق أبدا بين اللفظ والمعنى، كان اللفظ هو معناه فى نفس الوقت... بل هو حقيقته.. كانت الألفاظ حقائق قائمة تسير فى الحياة. بل هى الحياة. وكان من أول ما عرف من ألفاظ هو كلام الله سبحانه وتعالى، ومثل أهل هذه الأرض الطيبة المنبسطة كان الإيمان عنده أمرا بديهياً لا يحتاج إلى منطق أو تفكير، فلأمر ما يدخل الإيمان هنا إلى القلوب مباشرة دون تفسير ودون جهد ودون مراجعة، أهى دعة الطبيعة تثير هذا الشىء بداخل أنفسنا؟ الشىء النابض بالجوع إلى الاتصال بأصل الوجود؟ لماذا ظهرت الديانات السماوية كلها فى هذه الأرض أو قريبا من هذه الأرض؟ وكيف لا؟ كيف يمكن وسط هذه الطبيعة السهلة ألا يتحرر الانسان من قشرته الزائفة فإذا به جزء من كل ما حوله، يحس بالأمن والخير، يحس بالقوة والحق، يحس بالصدق والأمل، إذن هو الدين فى صورته الأصيلة، وقد كان نبض الدين فى عروق صاحبنا أصيل وعميق، ولكنه حين دخل حظيرة الدين دخلها فى صدر شبابه من باب جانبى، وإذا به فى متاهات وسراديب... وابتدأت تجربته.

جاء إلىّ شبه مختار... وجلس..

وقال:

– لقد كفرتُ بكل شئ.

قلت:

=بماذا؟

قال:

–كفرت بكل ما يقال.. وكل ما كان.. وكل ما هو كائن، وكل ما سيكون، بكل ما كتبوه، وما لم يكتبوه، بكل شئ وكل أحد.

قلت:

=ونفسكَ...؟

قال :

-كفرت بنفسى أولا وقبل كل شيء.. كفرت بالأصل والفرع، بالسبب والنتيجة، بالحق والباطل، كفرت بالشيء وضده.

قلت:

=والإنسان.. والغد؟

قال:

-وبالذات كفرت بالإنسان... وبالذات كفرت بالغد.. لقد خُدعت بما فيه الكفاية، وما بقى منى هو العفن الطافى فوق الجسد المتآكل، اشتعلتُ حتى احترقت، وحتى الحريق لم يكمل مهمته فيتركنى ترابا مقدسا، بل تركنى جسدا مشوها منتفخا سرعان ما فاحت رائحته... لست رمادا بعد.. لم أمت.. بل جننت. أو هكذا تسمون أمثالى، الموت ينتهى إلى رماد نقى جاف، أما الجنون فهو موت عفن كريه، لم أستطع حتى الموت.. لأنى كفرت بكل شيء حتى الموت.

.....

.....

.....

= انت ضقتَ بكل شئ.. ولكنك لم تكفرْ بعد.. وإلا لما كنت هنا.

- أنا هنا حتى أكفر بك أنت أيضا.. أكفر بالطبِّ وبالعلم، نعم العلم الطبى بعد أن كفرت بالعلم السياسى والاجتماعى.. هل تريد ان تسمع بقية حكاية الإيمان حتى الكفر؟

= .....

- إسمع يا سيدى:

حين تهت فى سراديب الكهنوت، وانتهى الإيمان إلى غيابات التنظيم السرى، وانقلب نور كلام الله إلى إرهاب كلام القادة والأوصياء، حين تصورت ما بين

لم أمت.. بل جننت. أو هكذا تسمون أمثالى، الموت ينتهى إلى رماد نقى جاف، أما الجنون فهو موت عفن كريه، لم أستطع حتى الموت.. لأنى كفرت بكل شيء حتى الموت.

حين تصورت ما بين دفتى المصحف حلا لكل شيء فإذا بهم يستعملونى وسيلة للقهر والقتل والإرهاب الفكرى

وجدت نفسى أرتمى فى أحضان النقيض، وذهبت إلى حيث وجهتنى قراءاتى الاشتراكية العلمية

دفتى المصحف حلا لكل شىء فإذا بهم يستعملونى وسيلة للقهر والقتل والإرهاب الفكرى، وجدت نفسى أرتمى فى أحضان النقيض، وذهبت إلى حيث وجهتنى قراءاتى الاشتراكية العلمية، فقد كنت مازلت أتلمس الطريق بما أقرأ من كلمات توجهنى، وهناك فى أروقة المادية الجدلية رأيت الإنسان ينتصر على شهواته، قرأت عن التطور والعدل، عن الرحمة وحسن التوزيع، عن العمل والإنتاج قرأت وطربت ورقصت الكلمات فى وجدانى رغم أنى تململت من بعض التفاسير المادية البحتة، ورغم أن داخلى رفض الإلحاد والهجوم على الدين، رغم كل هذا فقد ارتقيت فى أحضان المادة والعلم المادى بعد أن كفرت بالكهنوت، بالمظاهر الدينية، ولكن داخلى ظل متمسكا بالنبض الإيمانى الذى يحس بالله سبحانه برغم كل شىء، وبلا أية وسيلة، ولا حتى غاية، ولكنى تجاهلت داخلى واندفعت إلى التفسير المادى للتاريخ،

.....

.....

كان النشاط سريا منذ البداية، وكنت قد تمرست على الرؤية فى الظلام من أيام الأخوة إياها، فلم يكن غريبا على أن أقبل السير فى الظلام وصعدت السلم من أوله: خلية صغيرة، ثم مسئولية كبيرة، وكلما صعدت درجة أحسست بالغرابة والانزعاج، فقد كانت الكلمات المضيئة تتوارى وراء الإجراءات والأوامر والترتيبات، وبدأ فكرى الحر يحتج، وقالوا أنت تحلم بغير الواقع.

قالوا :إن الحرية خطر على الناس، إنهم يستعملونها فى جمع المال وإذلال الآخرين، إن الحرية بهذا الشكل هى العدو اللدود للبشر، للطبقة العاملة، ونحن نمثل الطبقة التى تمثل الأغلبية، ونحن أحرار، إذن فالأغلبية أحرار، وهذا يكفى لقيام الحرية.

.....

.....

وهناك فى أروقة المادية الجدلية رأيت الإنسان ينتصر على شهواته، قرأت عن التطور والعدل، عن الرحمة وحسن التوزيع، عن العمل والإنتاج قرأت وطربت ورقصت الكلمات فى وجدانى رغم أنى تململت من بعض التفاسير المادية البحتة، ورغم أن داخلى رفض الإلحاد والهجوم على الدين

ارتقيت فى أحضان المادة والعلم المادى بعد أن كفرت بالكهنوت، بالمظاهر الدينية، ولكن داخلى ظل متمسكا بالنبض الإيمانى الذى يحس بالله سبحانه برغم كل شىء، وبلا أية وسيلة، ولا حتى غاية، ولكنى تجاهلت داخلى واندفعت إلى التفسير المادى للتاريخ

وصعدت السلم من أوله: خلية صغيرة، ثم مسئولية كبيرة، وكلما صعدت درجة أحسست بالغربة والانزعاج، فقد كانت الكلمات المضيئة تتوارى وراء الإجراءات والأوامر والترتيبات، وبدأ فكرى الحر يحتج، وقالوا أنت تحلم بغير الواقع

قالوا: إن الحرية خطر على الناس، إنهم يستعملونها فى جمع المال وإذلال الآخرين، إن الحرية بهذا الشكل هى العدو اللدود للبشر، للطبقة العاملة

ولكن لماذا نفكر نحن رجال الحزب للطبقة العاملة، أليست لهم عقول يفكرون بها، ولكن أين هى الطبقة العاملة؟ إنها بين دفتى الكتب العقائدية.....

..وحين رأيت الأمل يختنق فى الصدور، حين رأيت الكلمات تنحبس فى الحلوق، حين اكتشفت أن أفكارى أنا شخصيا تتردد فى الورود إلى ذهنى، إلى هذا الحد وصل القهر إلى داخِلِنا: أنا أمنع نفسى أن أفكر خشية أن يجرنى فكرى إلى مناطق محظورة تضر بالطبقة الحاكمة – أعنى الطبقة العاملة – فى كفاحها المجيد ضد الاستغلال، الطبقة العاملة هى السيد والباقون طماعون سفاحون خبثاء، ولكن لماذا نفكر نحن رجال الحزب للطبقة العاملة، أليست لهم عقول يفكرون بها، ولكن أين هى الطبقة العاملة؟ إنها بين دفتى الكتب العقائدية

.....

.....

رفضت أن تكون هناك وصاية مذهبية على الفكر والتفكير.. أو وصاية طبقية على الحكم أو على الشعب: طبقة الحزب وصية على الحكام، والحكام أوصياء على الشعب، والشعب مسموح له أن يفكر فى الطريقة التى يحقق بها المادية الجدلية ذاتها.. ممنوع الجدل فى الجدل..لقد حلت النظرية كل شىء، الانسان يستغل الانسان منذ الأزل، وقد آن الأوان لتوقف كل هذا، وإذا بالانسان يستغل الإنسان من أجل زعم أن يتوقف الانسان عن استغلال الانسان.

وكفرت، كفرت...

ذبلَتْ شمعةٌ جديدة..ويئستُ وأنا أتحسس طريقى وسط الظلام على ضوء خافت يتراقص، وحين مددت يدى نحو الضوء احترقت وأفقت، ووجدت أن جذوة النار لم تهدأ.

وانحرفت.. هكذا قالوا!!

.....

.....

قل لى ياسيادة الطبيب النجيب ما هو ذلك الشىء الذى يُنسى الإنسان نفسه؟

= الخوف

– هو ذاك.. الخوف.. لقد خفت كل شىء، إنك إذ تخاف تفعل أى شىء

رفضت أن تكون هناك وصاية مذهبية على الفكر والتفكير.. أو وصاية طبقية على الحكم أو على الشعب

طبقة الحزب وصية على الحكام، والحكام أوصياء على الشعب، والشعب مسموح له أن يفكر فى الطريقة التى يحقق بها المادية الجدلية ذاتها..

ممنوع الجدل فى الجدل..لقد حلت النظرية كل شىء، الانسان يستغل الانسان منذ الأزل، وقد آن الأوان لتوقف كل هذا، وإذا بالانسان يستغل الإنسان من أجل زعم أن يتوقف الانسان عن استغلال الانسان.

لقد خفت كل شىء، إنك إذ تخاف تفعل أى شىء وكل شىء حتى تنجو من الرعب الذى يتملكك

وكل شىء حتى تنجو من الرعب الذى يتملكك، لقد خافوا على الانسان حتى قضوا على الإنسان، خافوا على العمال حتى خنقوا الحرية، خافوا على أنفسهم حتى نسوا أنفسهم وخفت أنا أيضا، كما أن من حقهم أن يخافوا، فمن حقى أيضا أن أفر بجلدى وفررت... ولكن إلى أين؟ ياوحشة الطريق.. إليك، إلى الأمان المطلق إلى الجنون المطبق.. آه.. يا إنسان يا غريب الأطوار.. تبا لك من حشرة جبانة تهرب إلى الجحر بمجرد سماع وقع الأقدام.

= إن تجربتك مرة، ولكن لا تمتهن الإنسان، فقد عاش حتى الآن يصارع نفسه وهو يصارع الخوف.. وهو مازال دائم التقدم بالرغم من كل شئ.

– نعم بالرغم من كل شئ. بدليل أنك جالس خلف كرسيك ترتزق من أشلائه المتناثرة

= أنا أعيش وأفعل ما أستطيع

– وماذا تستطيع حين يكفر إنسان بنفسه.. ماذا تستطيع أن تفعل له أنت؟

= أستطيع أن أحترمه رغم كل شىء، أحبه جزءاً جزءا حتى يجمع شتات نفسه، أثق فيه وهو فى قمة تصدّعه.. أصاحبه حتى يستمر كما ينبغى.

– ينبغى؟ وماذا ينبغى ياسيادة الطبيب؟ ينبغى أن أغمض عينى وأكتفى بأن أذهب إلى وظيفتى وأقبض راتبى آخر الشهر؟ أن أقتنى امرأة حضّانة تنتفخ بطنها بين الحين و الحين ببعض ما ألقيه فيها من فضلات اللذة، حتى تزيد عدد الأحياء التعساء، ماذا ينبغى يا سيادة الطبيب؟. قل لى بربك ماذا تفعل بالناس من على كرسيك هذا؟ أنت تساعد فى"ميكنة" الإنسان وقتل مشاعره.

قطع

)خارج النص:

قال الفتى :إن هذا الرجل بالغ الصدق، حاد المنطق حتى يكاد يفحم الطبيب أولا بأول

قال الحكيم :هذا صحيح، وعلى الطبيب أن يحترم ويصبر ويواصل كما سنرى.

قال الفتى .. :لا مفر من الانتظار والصبر آملا فى التعلم(

الأحـــد 2017-05-28

العدد: 3557 - إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،
منذ نصف قرن 1968 :مقتطفات من كتاب "عندما يتعرى الإنسان"

جاءنى شيخا متهالكا لا يكاد يقوى على المسير، وعلاج الشيوخ عندى مشكلة ليس لها علاج

مقدمة:

أنهيت حلقة أمس باستدراك من خارج النص أوصى فيه بالانتظار إلى الغد (اليوم)، لمن شاء أن يتابع صبر الطبيب، إلا أننى بمراجعة ما سبق نشره وجدت أن الأمر يحتاج إلى الانتقال إلى حكاية أخرى لتؤكد ما نرجوه من موقف الطبيب ونأمله فيه.

من حكاية :

"كبيرهم"

قال الفتى:

–قد علمت هذا المثل فحدثنى عن "خدعة المال".. فقد خيل إلى أحيانا أنك تتناساها عمداً.

قال الحكيم :

=وكأنك تقرأ أفكارى... فقد كدنا نصل إلى كبير الأصنام الذى ألصق به سيدنا ابراهيم تهمة أنه حطم باقى الأصنام.. حين سألوه عن المسئول عن تحطيم الأصنام.. تحطم هو ذاته.

قال الفتى:

–وكيف كان ذلك؟

مقتطفات من حكاية" كبيرهم"

قال الحكيم:

=جاءنى شيخا متهالكا لا يكاد يقوى على المسير، وعلاج الشيوخ عندى مشكلة ليس لها علاج، ولى من الزملاء من يتقن هذا النوع من التطبيب، وله فى ذلك فلسفة هادفة، إنسانية وكريمة، أنا أشفق على الشيخ حين يتحطم وأسير بجواره يتكىء علىّ كما يتكىء على عصاه حتى يأذن الله فى أمره، ولكنى لا أعتبر ذلك علاجا بالمعنى الذى أمارسه، فالعلاج عندى هو التحول والثورة والطفرة وإعادة البناء والتجديد والاستمرار، ولكن هذا الشيخ بالذات كان شابا فى ثورته، وإن كنت غير واثق ماذا يفعل به الغد.

العلاج عندى هو التحول والثورة والطفرة وإعادة البناء والتجديد والاستمرار،

قال الفتى:

– وهل للثورة ميعاد وتوقيت؟

قال الحكيم:

=الثورة هى الشباب، وهى تبدأ بالرؤية الحادة الأمينة، والرفض والسخط والاحتجاج، ولكنها ليست ثورة ما لم يصبح الرفض فعلاً، والسخط مسئولية، والاحتجاج تغيراً.

قال الفتى :

–ولكنك تقول أن هذا الشيخ كان شابا فى ثورته.

قال الحكيم :

=عندك حق، خطّأتنى يا فتى، كان ينبغى أن أقول أن هذا الشيخ كان شاباً فى رؤيته لا فى ثورته، لأن الثورة شىء، ولكن الرؤية دون ثورة هى ألم الضياع وإفزاعه، وربما كان هذا السبب هو الذى يجعلنى أتردد أمام علاج ثورة الشيوخ الشباب، فكم بقى لهم فى العمر حتى يجعلنى أعرّضهم لآلام المخاض، وكم

فى الغد ينتظر بعد طول الخداع، أنا أشفق عليهم، وقد أحاول أن أساعدهم فى إغماض عيونهم حتى لا يمارسون ألم الرؤية بلا فاعلية، وقسوة الصحوة بلا مسيرة، وانهيار القديم بلا بديل.

قال الفتى:

- ومع ذلك تحكى لى قصة صديقك الشيخ من ضمن حكاياتك التى تعلمنى بها الحكمة.

قال الحكيم:

=أنا أحكى لك ولا أحكى له، أنا أتكلم عن الشيوخ للشباب، ولكنى لا أستبعد وجود شيخ ثائر يستطيع الاستمرار، على أن يكون قد بدأ المسيرة من زمان

.....

قال الفتى:

–لن ينته النقاش.. فحدثنى عن كبير الأصنام، الذى حطم كل القيم زائفة أم حقيقية – ثم تحطم.

****

قال الحكيم:

= جاءنى شيخا متهالكا انطفأ فيه كل شىء، لونه أقرب إلى الزرقة، وعيناه كقطعة من حجر الجير، وذقنه فى صدره، وبقايا شعره نافرة على صلعته مثل الشعيرات المتناثرة على كوز ذرة جاف فى يوم قائظ.

قلت:

= أهلا

فارتفع حاجباه واهتزا، ولم يرد.

قلت:

=ليس بعد.

وانتبه أكثر.

هذا الشيخ بالذات كان شابا فى ثورته، وإن كنت غير واثق ماذا يفعل به الغد.

قلت:

=ربما

قال:

–ماذا؟

قلت:

=أهلا.

قال:

–بكم؟؟!!

وبعد معلومات سريعة وهامة وعقاقير عظيمة وفاعلة، وأيام مظلمة وصبر وإلحاح، ضغط على يدى ذات يوم وقد تراجعت العقاقير، وصلتنى الرسالة وهو يصافحنى، فشجعتنى أن نفتح الملف.

قلت له:

=وبعد، ما هى الحكاية الآن .

قال :

–هى حكاية النهاية قبل البداية، فى الوقت الذى كنت أحسب أنى اقتربت من بداية النهاية لأستمتع بكل ما كان، جاءت النهاية فجأة وبغير حساب، كل شىء عندى هو بالحساب، بدأت عصاميا وحسبتها ونجحت، لم تخب حساباتى أبدا، ولكنى لم أضع ما حدث هذا فى الحساب، كنت دائما أؤجل البداية حتى جاءت النهاية قبل البداية، هل تفهم؟

قلت:

=أسمع.. وأحاول..

قال:

–ولكن الكلام متعب.. الذكريات تمر بفكرى بالرغم منى، أريد أن أنسى ولا أستطيع، ألا يكفى ما حققنا بالعقاقير،.. لقد أصبحتُ أنام أحسن، ومعدتى

الثورة هى الشباب، وهى تبدأ بالرؤية الحادة الأمينة، والرفض والسخط والاحتجاج، ولكنها ليست ثورة ما لم يصبح الرفض فعلاً، والسخط مسئولية، والاحتجاج تغيراً

تتقبل بعض الطعام، وتتحرك أصابعى على مسبحتى ربما تحاول أن تذكر الله أو تستغفر، أو هى تجذب انتباهى بعيدا عن أفكارى، ألا يكفى هذا وشكرا.

قلت:

=لا شكر على واجب.

قال:

–إذن فهو الواجب... وقد حسبتُ أنى وجدت من يفهمنى، أنت تفعل الواجب فحسب، سواء كان من أمامك إنسان أم جماد، فى الأول حسبت أن الأمر غير ذلك، حسبت أنها رسالة وليست واجبا.

قلت:

=ولكن الواجب ليس مفروضا من الخارج، الواجب اختيار أصلا، وأنا اخترت أن أكون بجوارك، ومن واجبى على نفسى أن أعيش إنسانا مع من يلجأ لى من بنى نوعى هذا ما عنيته فلا داعى للشكر.

قال:

–لا أستطيع أن أكتفى بهذا التحسن وأسكت، لا أستطيع أن أعيش مع أفكارى وحدى، أنا فى حاجة إلى إنسان يسمعنى حتى ولو لم يصنع لى شيئاً، أريد إنسانا يفهمنى من وجهة نظر أخرى، أنا لا أجد من يفهم، كلما حكيت عن النجاح انبهروا بما حققت ونسُونى تماما، وربما هزأوا بى وشكّوا فى عقلى، أو ربما تصوروا أنى طماع لا أحمد النعمة وكل منهم يقول "ما أغباه هذا الساخط، فليعطنا ثروته وسوف يرى على وجوهنا السعادة التى يفتقدها، سوف نعلّمه كيف يعيش..." وترتفع الحواجب وتمصمص الشفاة وينحبس الكلام فى حلقى، فهل أنت مثلهم.

قلت:

=ماذا وجدت؟

جاءنى شيخا متهالكا انطفأ فيه كل شىء، لونه أقرب إلى الزرقة، وعيناه كقطعة من حجر الجير، وذقنه فى صدره، وبقايا شعره نافرة على صلعته مثل الشعيرات المتناثرة على كوز ذرة جاف فى يوم قائظ.

قال:

- وجدتك مختلفا ولو قليلا، ولكنى أخشى المنطق العام والسخرية، ثم إننى مرضتُ فمن حقى أن أتكلم بمنطق خاص ومن واجبك ألا تسخر، أمرى إلى الله.

..... =

- .....
- .....

.....=

)إلى أن قال(:

ولو كان الله أذن فى أمرى وأنا فى عنفوانى لِمتُّ مثال الناجحين المهرة. ولكن أن تموت قوتك الزائفة. قبل أن تموت خلاياك فهذا هو قمة الألم والضياع، لا غد لى... ولا أمل فىّ... وذكريات الأمس أصبحت مصدرا للعذاب لامجالا للفخر.

قلت له :

= ولكنك أحسن.

قال :

– عقاقيرك العظيمة تجعلنى أنام، ومعدتى تتقبل الطعام، ولكن الأمل راح إلى غير رجعة.

قلت:

= الأمل فى ماذا؟

قال:

– الأمل فى.. فى.. نعم فى ماذا؟ القرش وعندى منه الكثير، والحيوان فىّ مات فلا نساء، وأنا شخصياً لا أريد له صحوة، فكفى امتهانا وذلا، والناس عمرهم ما كانوا فى حياتى، ولكن.. عندك! هناك ما يشغلنى حتى أموت: التحف والفازات فى منزلى، أنا أعيش فى متحف نادر المثال، وأملى أن يحوى أندر ما فى العالم.

= لماذا؟

حسبتُ أنى وجدت من يفهمنى، أنت تفعل الواجب فحسب، سواء كان من أمامك إنسان أو جماد، فى الأول حسبت أن الأمر غير ذلك، حسبت أنها رسالة وليست واجبا

–لأصبح فريدا فى مقتنياتى.

= ولكنك مرضت وسط تحفك وفازاتك.

– وتربية نبات الصبار.. هى هواية نادرة تميزنى.

= ولكنك تمارسها من سنوات.

– ماذا تعنى؟

= أين الأمل الحقيقى الذى نواجه به المرض، مهنتى تقول أنه ينبغى ألا نفقد الأمل أبدا.

– ولكن الذى ينبغى شئ، والواقع شئ آخر.

= إذا فقدت الأمل.. فماذا يتبقى.

– إذن ماذا؟

= عمالك مازالوا عندك والأطفال يولدون كل يوم.

– وبعد؟

= أنت ذاهبٌ لا محالة.

– أفصحْ.. لم أعد أستطيع الانتظار.

= يكفيك حق المنفعة، بل وجزء منه أكثر من الكفاية.

– أتركُ مصنعى للغوغاء؟

= بعد عمر طويل.

– الانتحار أفضل من آرائك.

= مازال فى العمر بقية.

– ماذا تريد.

= تبدأ من سنة الفشل المزعوم.

–يعنى؟

=تعمل مؤسسة للذين لا يدخلون الجامعة يتقنون فيها فن التقارب العملى، ويتعلمون مهنة للحياة.

لو كان الله أذن فى أمرى وأنا فى عنفوانى لِمتُّ مثال الناجحين المعرة. ولكن أن تموت قوتك الزائفة. قبل أن تموت خلاياك فهذا هو قمة الألم والضياع، لا غد لى... ولا أمل فىّ... وذكريات الأمس أصبحت مصدرا للعذاب لامجالا للفخر

– تنصحنى بالبر والتقوى؟!.

= أفضل من المرض.

– المرض أفضل.. وعقاقيرك نجحت، فلنستمر عليها، لعلها تكفى.

= هى مرحلة.. ثم قد لا تفيد.

– تهددنى؟.

= أقول ما أعلم.

– هذه نكسة بلا جدال.

= هل عندك بديل؟

– دعنى.

= حرامٌ عليك أن تستمر فى الطريق الذى أشقاك.

– ولكنه أسعدنى.

– صحيح؟!!

– أرضانى.

=صحيح؟!! هل أنت متأكد؟

– أنجَحَنى.

= ثم ماذا؟!!

– ثم جئتُ إليك.

= فهو المرض.

– فليكن.

= هل تفكر ثانية.

– أنت خبيث.. تريد أن تقلب أحوالى رأسا على عقب.

= ألم تنقلب بعد؟ ؟!!

– لا تحيى فىّ الأمل حيث لا أمل.

أين الأمل الحقيقى الذى نواجه به المرض، مهنتى تقول أنه ينبغى ألا نفقد الأمل أبدا.

= الأمل موجود باستمرار.

– انتهى العمر.

= مازال الأولاد يولدون.

– ليس لدىّ أطفال.

= هذا ما تتصوره ، ليس بالضرورة أن ننجب نحن أطفالنا جدا.

الاثنيـــن 2017-05-29

العدد: 3558 - إرهاصات الطبنفسى الإيقاعحيوى التطورى،

منذ نصف قرن1968 : مقتطفات من كتاب "عندما يتعرى الإنسان"

من حكاية: "الشعلة والحريق"

مزيد من المقتطفات: من حكاية":العلامة

قد عشت هذا التناقض منذ اللحظة الأولى بين الكتاب والإنسان، بين العلم المجرد ونبض الحياة، وكانت نهايتى كما ترى: هنا بين يديك، هارب من الجنون أو قل هارب إلى الجنون

مقدمة:

سبق أن اقتطفنا من هذه الحكاية ما تيسر مما له علاقة بالمنطلق الأساسى للطبنفسى الإيقاعحيوى، إلا أننى وجدت بها من الحوارات ما يدعم موقفنا من نقد الموقف السلطوى لما يسمى البحث العلمى دون مساس بالعلم والمعرفة من كل مناهلهما، فقلنا نستزيد اليوم من نفس الحكاية بلا تعليق.

مقتطفات من حكاية" العلامة"

المقتطف (1)

.....

قال (المريض العالم)

أقنعت نفسى أننى جئت إليك أتفرج على علمك، أو عليك، لن ترتقى أبدا لأن تكون ناسا عندى، أنا دفعت لك تماما كما أشترى كتابا، وعندى أمل ان تكون أسهل فى القراءة... أما كونك إنسانا "آخر" فهذا ليس فى حسابى رغم أن جزءا غائرا فى نفسى يتمناه.

قلت (الطبيب/الحكيم):

= ولكنى إنسان، وهذا هو أساس مهنتى.

قال:

– يا ليت، فما هذا الذى تعلقه على الجدران فى الصالة؟! أنت "عالم" قبل أن تكون طبيباً، هذه هى صورتك عندى، وهى صورة لا تسر بعد ما حدث لى.

= وهل هناك تناقض بين أن أكون عالما وأن أكون طبيا إنسانا.

قال:

– هذا ما جاء بى إليك.. فقد عشت هذا التناقض منذ اللحظة الأولى بين الكتاب والإنسان، بين العلم المجرد ونبض الحياة، وكانت نهايتى كما ترى: هنا بين يديك، هارب من الجنون أو قل هارب إلى الجنون. منذ اللحظة الأولى..، منذ تركتنى أمى دودة تسعى فى صحراء بلا ناس، منذ خدعتنى وقالت: سآتى حالا ولم تأت أبداً، منذ أحبتنى حبا لصقنى بها جزءا منها، ثم تركتنى فجأة كتابا ملقى على الطريق تعبث بصفحاته عواصف الصحراء، أعنى حوش المدرسة، وظلت العواصف تقلب صفحاتىحتى تمزقت دون أن تتطاير، وها هى بقاياها بين يديك، .. هذا الذى أمامك هو بعض ما تبقى مما لا يصلح لشىء، .. أنا الغلاف والمقدمة والخاتمة، أما محتوى الكتاب فهو ضائع منى، وبالتالى فهو ليس فى متناولك.

صفحاتىحتى تمزقت دون أن تتطاير، وها هى بقاياها بين يديك، .. هذا الذى أمامك هو بعض ما تبقى مما لا يصلح لشىء، .. أنا الغلاف والمقدمة والخاتمة، أما محتوى الكتاب فهو ضائع منى، وبالتالى فهو ليس فى متناولك

.....

المقتطف (2)

قال (المريض العالم)

..وكلما تدرجت على سلم الشهادات انزعجت من تلك المقاييس التى تقيم الناس، وكان آخر المطاف شهادة الدكتوراه: رسالة وامتحان يرضى كل الممتحنين بلا استثناء – أى والله بلا استثناء – وتيقنت أن آخر شهادة هى أخطر شهادة، لأنها تعطيك حق الجهل، وهى شهادة تُعطى ولا تُؤخذ، تدل على الرضا أكثر مما تدل على العلم، أما أنها تعطى حق الجهل فهذا أخطر ما فيها.

قلت (الطبيب الحكيم:(

= لا تغالِ.. وقل لى كيف؟

قال:

– أنا لا أغالى، ولو لم أكن حاصلا عليها لحسبتُ ذلك شعورا بالنقص أو حقدا ولكنى حاصل عليها من أول مرة وبامتياز، ومع ذلك فأنا لا أقول إلا الحق، فقبل هذه الشهادة يتمتع الطالب أو العالم بفضيلة الحياء، فيخشى أن يفتى فتوى دامغة إلا إذا راجعها وحسب لها حسابها، أما بعد أن يحصل عليها فإن له أن يقول ما شاء دون حساب مباشر، خاصة فى بلدنا هذا، هذا هو الخطر بعينه، أن يحسب الانسان نفسه عالما بالشهادة، فالشهادة قد تكون خدعة كبرى لأنها من الرموز التى تعدت معناها حين أصبحت غاية فى ذاتها، وأصبح تقويم الانسان صغيرا وكبيرا مرتبطا بها ارتباطاً وثيقا، وهذا من ضرائب العصر التى لم نجد لها بديلا حتى الآن..

هذا هو الخطر بعينه، أن يحسب الانسان نفسه عالما بالشهادة، فالشهادة قد تكون خدعة كبرى لأنها من الرموز التى تعدت معناها حين أصبحت غاية فى ذاتها

قلت:

= ولكن ماذا ضرك فى كل هذا.

قال:

– لا شىء حتى الآن إلا جفاف الحياة، وفقد نشوة الانتصار. بعد الشهادة الكبيرة عشت الألم الرهيب الذى انتهى بكسرى الذى أتى بى إليك هذه هى الحكاية.

قلت:

=أية حكاية؟

قال :

–حكايتى مع العلم والعلماء والبحث والمبادئ ، أنا حين سلكت طريق العلم أصبح للكلمة محراب فيه أرقام وأرقام أهتز لها احتراما، وأنحنى أمامها تبجيلا، ولكن حين أصبحتُ أحد خدام هذا المحراب اكتشفت أن ما به ليسوا آلهة

كلهم، هناك أيضا أصنام من الحجارة تبدو عليها سمات الآلهة، واهتززت وتشككت وكدت أتراجع وأنا أكتشف أن الأبحاث فيها الحسن وفيها السئ، وحين تقرأ بحثا فأنت إما أن ترفضه وإما أن تقبله، ولكنى كنت أحد خدام المحراب وولدانه، فمارست تناول الماء المقدس من الداخل ولم يكن دائما مقدسا، خصوصا لدى الكهنة الأساتذة المشايخ والأحبار.

.....

المقتطف (3)

قال (العلامة):

– أنا لا أتحدث عن قواعد، أنا أتحدث عن تجربتى الخاصة، أنا مريض نفسى وأنت طبيب نفسى، وقد تحرجت طويلا أن أقول هذا الكلام بين الزملاء، كانوايشعرون أنى أهاجمهم وأكشف عوراتهم فى حين أنى كنت أنقد نفسى معهم، كانوا يدافعون عن جلال العلم وهيبة "الأساتيذ" دون محاولة لمناقشة صدق محاولتى، وكأن الأستاذ هو أستاذا لأنه أستاذ، وليس لأنه رائد وموجه وناقد وإنسان، وظللت أكتب وأخطّئ نفسى وأعمل حسابا للذى يصح والذى لا يصح، وأفوّت وأصهين وأسكت وأغمض حتى انكسرت، وجئت إليك يا سيادة الأستاذ الطبيب النفسى، ولكن قل لى هل أنت تعترض لأنك أستاذ أم لأنك طبيب؟ لمصلحة من تحاول أن تزين لى حقائق عشتها أنا بكل الألم والمرارة، وتقول أنت تبالغ؟ أنتم الذين تبالغون فى العمى والضلال.

قلت:

=العمى والضلال مرة واحدة؟ هكذا؟

قال:

–نعم بحجة احترام الواقع والمجاملات، إن الواقع محترم. طالما هو صدق وأمانة، والمجاملات عظيمة طالما هى الزيت الذى يلين تروس المعاملات الجافة، أما أن نرص الأرقام ونتبع مبدأ "من سهّل، سهل الله عليه" فإن ذلك هو العمى والضلال.

حين سلكت طريق العلم أصبح للكلمة محراب فيه أرقام وأرقام أهتز لها احتراما، وأنحنى أمامها تبجيلا.

قلت:

=ولكنها تجربة خاصة.. فلماذا تعممها؟

قال:

–أنا لا أعمم شيئاً.. أنا إنسان مكسور ضعيف مهان، وملقى فى كرسى فى عيادة نفسية، فى عقلى خلل وفى إدراكى شطط، ومن حقى أن أخرّف ما شئت، وإلا ما فائدة أن يمرض الإنسان، أليس المرض سبيلا إلى حرية ما، ألا يمكن أن يكون عذرا لأمثالى ليقولوا ما يشاؤون، أم أنه دائما علقه قبل وبعد الحديث الطليق؟

.....

المقتطف (4)

قال:

–نعم "ذلك اليوم".. كنت هناك، وكان بحثا ضخما مفتخراً به من الجداول أربعة عشر ومن الصفحات ما يربو على العشرين، كنت أعرف فيه نقطا ضعيفة وكم هاجمتها فى غير هوادة، ومضت الأيام.. حتى دخل ذلك البحث سرداباً خفياً فى جانب ذاكرتى ثم اضطررت فى ذلك اليوم أن أقدّمه، ووجدتنى أستحضره وأنا أكاد أفخر به لحسن ترتيبه، ووجدتنى أدافع عن نقط ضعيفة، كم سبق أن رفضتُها، وفجأة حدث الذى كانْ.

قلت:

=وما الذى كان؟

قال :

– أثناء إلقاء البحث، اخترق رأسى من الداخل فجأة، ما بين عينىّ: صاروخ مثل السيف المحمى على النار، واضطربت الألفاظ أمام عينى وأصابتنى دوخة وعجزت عن الاستمرار فى إلقاء البحث، كيف أدافع عما لا أعتقده؟ وفى أى

حين أصبحتُ أحد خدام هذا المحراب اكتشفت أن ما به ليسوا آلهة كلهم، هناك أيضا أصنام من الحجارة تبدو عليها سمات الآلهة

مجال؟ فى مجال العلم؟ أحسست بأنى داعر، لا تؤاخذنى فى التعبير، ولكن لا تنس أنى مريض، وأنى ما مرضت إلا لآخذ حقى فى التعبير، فحيث تكون السلامة تكون المجاملة ويكون الكلام ممنوعاً والسكوت ممنوعاً أيضا.

قلت :

= ولكن هذا البحث.. .. ماذا به؟ ، ماذا حدث فى ذلك اليوم، هل اكتشف أحدهم فى المناقشة أن به شيء؟

قال :

– لا .. ليس به شيء، هذه هى المصيبة، ولأنه ليس به شيء فقد كُسرتُ لأننى اكتشفت أننى أدافع عن لا شئ، هل يمكن أن تتصور إنسانا يمسك بكل أسلحته للدفاع، ثم يكتشف أنه يدافع عن أعدائه هو، تقضى عمرك تدافع عن محتويات خزانة عقلك ثم فى لحظة يقظة تفتح الخزانة فإذا بها خاوية على عروشها، حينئذ تصعق وتدور الأسئلة تلسع رأسك ثم تنطلق السهام الملتهبة المصنوعة من معدن صلب، تشل عقلك، وأعتقد أن أحدها هو الذى أصابنى بين عينى، كدت أراه فعلا وهو ينطلق نحوى، شعرت أننى لو مضيت أدافع نفس الدفاع، كأننى أحلف بمقام الشيخ الذى تحت القبة، ولا أحد يعرف سواى أن المدفون تحت القبة هو حمار نافق، وليس شيخا ذا كرامة.

قلت:"

=ولكن ليست كل الأبحاث هكذا.

قال:

– آه .. ذكّرتنى، مرة من ذات المرات كنت أجلس وكان ذهنى خاليا من كل شيء، كنت فى حديقة ما.. أمسك زهرة جميلة وكأنى مراهق يتأمل التوافق بين ذاته وبين الكون، وخطر ببالى وبدون سابق إنذار نفس التعبير الذى قلته انت الآن: "أنه ليست كل الابحاث هكذا".. فرد آخر من داخلى يقول "هكذا كل الأبحاث"، وأفقت من لحظة التوافق والانسجام، وجعلت أتأمل مشكلتى

إن الواقع محترم. طالما هو صدق وأمانة، والمجاملات عظيمة طالما هى الزيت الذى يلين تروس المعاملات الجافة، أما أن نرص الأرقام ونتبع مبدأ "من سهَّل، سهل الله عليه" فإن ذلك هو العمى والضلال

المحيرة، وارتسمت ابتسامة ما على عقلى، ونظرت للوردة فى يدى وأخذت أقطف أوراقها وأنا أردد "ليست كل الابحاث هكذا"... "هكذا كل الابحاث"... "ليست كل الأبحاث هكذا"... هكذا كل الأبحاث"، وظننى الناس عاشقا ينتظر عشيقته ويسأل الوردة "ستحضر.. لن تحضر.." ووجدت عنق الوردة وقد تعرى من جمال الوريقات، وأنا اتساءل تساؤلى الذى لا ينتهى، وهتف لى هاتف أن مصير الطبيعة فى المعمل الجاف الذى ينسى نبض الانسان... مثل مصير الوردة بين يدى إنسان قلق أوشك على الانهيار، وتبينت ساعتها أن الانهيار قادم لا محالة ورفضته وتمنيته فى ذات الوقت..

هتف لى هاتف أن مصير الطبيعة فى المعمل الجاف الذى ينسى نبض الانسان... مثل مصير الوردة بين يدى إنسان قلق أوشك على الانهيار، وتبينت ساعتها أن الانهيار قادم لا محالة ورفضته وتمنيته فى ذات الوقت

.....

المقتطف (5)

قلت :

= سوف نبدأ برفض ما رفضت.

– حقاً؟

= ولم لا؟

–لأنى مريض؟

= بل هو رفض الزيف والخداع.

–ومن قال لك أنه زيف وخداع؟

=أنت الآن.

–وكيف تصدقنى وتكذب لجنة التحكيم التى أجازت نشر البحث فى أحسن المجلات؟

=لم أجد أى مبرر أن أكذبك، ولا أى مصلحة لك فى أن تكذب علىّ، ووجدت أن الأقرب لى هو أن أبدأ بأن أقبلك بكل ما تحويه وتمثله وتقبله وترفضه.. فهل تقبلنى أنت؟

– أنا؟.. أنا أخاف منك.

= عندك حق، فى أزمتك هذه لك كل الحق أن تخاف من كل الكلام وكل الناس.. ولكن للأمر وجه آخر.

– وأخاف أيضا من هذا الوجه الآخر.

= ولكنك لا تعرفه.

– أنا خائف.. طيور فكرى تهرب من كل الأقفاص.

= ولكنها لو استمرت فى السماء بلا حدود.. فسوف تهلك أنت وهى.

– ستبحث لها عن عش ولو فى القطب المتجمد.

= تهلك من البرد والوحدة.

– أفضل من السجن داخل الخداع.

= ولكن هناك احتمال آخر.

– أى احتمال؟

= الإنسان.

– هو الذى أشقانى وعذبنى حتى انكسرت.. أمى كانت الإنسان الأول فى حياتى ثم تركتنى دودة تسعى فى صحراء المدرسة بين حروف جافة وطباشير أكلح لا نبض فيه، ثم سجنت وأنا أبحث عن الانسان بين صفحات الكتب، ثم فجعتُ وأنا أفتقدُ الإنسان فى مجال العلم الجامد.

قلت:

=ولكن هذا لا يعنى أن نكف عن التعليم أو نهاجم الكتب كلها أو نحطم قدسية العلم.

وبعد

نلتقى الأسبوع القادم مع حكاية أخرى

الأســـاس فـــي الطـــب النفســـي: الإفتراضـــات الاساسيـــة

الفصـــل السابـــــــع

جميـــع الحقـــوق محفوظـــة للمؤلـــف 2023

الإنسان والتطور
سلسلة الإصدارات المكتبية العلمية
28
2023

مواليد كانون الثاني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2023

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية